

صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل وأثر الإيمان بها في حياة المسلم

د. سالم بن محمد القرني

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

ملخص البحث

اشتمل البحث على : مقدمة : فيها أهميته ، وسبب اختياره ، والخطة التي سرت عليها فيه .
ثم تسعة مباحث ؛ بينت في الأول معنى الرضا في اللغة والشرع .
وفي الثاني : قاعدة جامعة في إثبات الأسماء والصفات ، والأسس التي يقوم عليها هذا التوحيد عند السلف - رحمه الله - .
وفي الثالث : ذكوت الأدلة على إثبات صفة الرضا لله - تعالى - ، من القرآن ، والسنة ، والأثر ، ودلالة العقل عليها .
وفي الرابع : بينت اعتقاد السلف - أهل السنة والجماعة - في صفة الرضا .
وفي الخامس : بينت أن صفة الرضا ذاتية لا تنفك عن الله - تعالى - ، وفعلية اختيارية ، تتعلق بمشيئته وإرادته .
وفي السادس : أن صفة الرضا لله غير مخلوقة ، وأن من قال إنها مخلوقة فقد خالف الحق والصواب .
وفي السابع : ناقشت المخالفين لدلالة القرآن والسنة والأثر والعقل في صفة الرضا ، من الجهمية ، والمعتزلة ، ومن وافقهم ، ورددت قولهم في أنها مخلوقة منفصلة عن الله .
وقول الكلابية وموافقيهم من السالية ، في زعمهم أنها صفة ذات لا صفة فعل ، وأنها لولا كانت صفة فعل لكانت مخلوقة .

كما بينت الجواب عن شبهة التجسيم ، وذكرت الردود العامة على من نفى صفة الرضا عن الله - تعالى - .

وفي الثامن : أوضحت أثر الإيمان بصفة الرضا في حياة المسلم ، وغرته ، ومنزله ، وفضله ، وما يترتب على ذلك في الآخرة من النعم برضا الله - تعالى - ، وأنه أكبر من كل نعيم ، وأن أثره في القبول أكبر من كل أثر .

وفي التاسع : ذكرت بعض أسباب تحقق الرضا للمؤمن من الحمد ، والشكر ، والشوق إلى لقاء الله ، والمبادرة إلى طاعته ، وإن اكتنفها مشقة ، وخوف ، أو نحو ذلك .
ثم ختمت البحث بذكر نتائجه على وجه الاختصار .
والله الموفق ،،،

• • •

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فلقد امتن الله عز وجل على عباده أعظم منة ، فأرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، تلوا عليهم آياته ، وبصروهم بسبل مرضاته ، وكان خاتمهم وآخرهم وسيدهم ولا فخر محمد ﷺ الذي هدى أمته إلى الصراط المستقيم الذي لا عوج فيها ، فلم يكن للعباد غنية عن هذه النعمة ؛ لأنهم لولاها لوكلوا إلى عقوبهم وأهوائهم ، فضلوا وأضلوا ، وما أمكن أحد من الخلق أن يعلم التحريم من التحليل ، ولا الغيب من الشهادة ، ولا عرف ثواباً ولا عقاباً ، ولا بعثاً ولا حساباً ، ولا تميز حق من باطل ، ولا كفر من إيمان ، ولا عبادة لإبليس من عبادة الرحمن ، فيكون الخلق عبثاً لا حكمة وراءه ولا معنى ، وهذا ما يتنزه عنه الحكيم الخبير ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ ^(١) .

فلم يدع العليم الخبير تقويم السلوك لعقل الإنسان المجرد ، وإنما جعله أداة يعقل بها . مراده به سبحانه وتعالى ، فهو تبع لوحي الله وتشريعه ، ليس له حق الابتداء على الخالق ، وإنشاء الأحكام والتشريع .

فكانت أمة محمد ﷺ - أتباعه وأصحابه ومن سار على نهجه - خير أمة في عقيدتها وسلوكها وتفكيرها ، في عملها وأدائها لواجباتها ، في ترابطها وتضامنها ، في انضباطها وأمنها ، وتسليمها لأمر الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، فأسست ببنائها على تقوى من الله ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في دار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾^(١) ، ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾^(٢) .

عرفت أمة محمد ﷺ ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، بتعليم ربها سبحانه ومعلمها وهاديتها ونبيها عليه الصلاة والسلام ، ثم عملت بأمره واجتنبت نهيه ، فكانت خير أمة أخرجت للناس : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٣) . إن الفلاح كل الفلاح معرفة الله بأسمائه وصفاته ، وتوحيده وحده لا شريك له في عبادته ولا في ملكه ولا في أمره ، له الخلق وحده ، وله الأمر وحده ، فله العبادة وحده . وبهذا تكون النجاة من الهلاك والضياع والدمار المادي والمعنوي .

ولقد علق ربنا سبحانه وتعالى فلاح العباد وفوزهم بطاعة الرسول ﷺ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾^(٤) .

عرفوا الله واتبعوا أمره ؛ يتبعون بذلك رضوانه ، فكانوا مثلاً يحتذى به ، وقدوة صالحة لكل الأمم قبلهم وبعدهم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَّاهُمْ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ ، فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٥) .

أما من خالف سنة المصطفى - ﷺ - في القول والفعل ، فيما يعقل ويعلم ، وفيما يعمل ؛ فإنه لا حياة له في الدنيا على الحقيقة ، ومآله في الآخرة الإهانة والفضيحة : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ ^(٩) .

فهما طريقان لا ثالث لهما : اتباع للرسول وطاعته ، أو اتباع للهوى ، فمن لم يتبع الرسول اتبع الهوى ولا بد : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(١٠) ، فاتباع محض العقول دون ماجاء به الرسول اتباع للهوى ، وعدول عن الصراط المستقيم .
﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ^(١١) .

فالصراط المستقيم واحد ، والحيد عنه يكون إلى سبل متشعبة ترجع إلى اتباع الهوى باتباع الشيطان ولقد صور ذلك رسول الله - ﷺ - فيما رواه عنه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : خط لنا رسول الله - ﷺ - خطاً ، ثم قال : ﴿ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ﴾ ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : ﴿ هَذِهِ سَبُلٌ مَفْرُقَةٌ ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ﴾ ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^{(١٢)(١٣)} .

وكان الصحابة والتابعون والسلف الصالح على منهج الهدى واتباع الرسول - ﷺ - .
ثم خلف من بعدهم خلف لم يقنعوا بوحى الله وتشريعه ، ورأوا أن هناك حاجة إلى ما زعموا من تصحيح وزيادة وحذف ، فأعملوا عقولهم ، وأخضعوا الوحي لها ، فتشعبت السبل بالناس ، ووقع ما خاف من وقوعه النبي - ﷺ - كما قال : ﴿ إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَثَمَةَ الْمُضِلِّينَ ﴾ ^(١٤) .

وكما قال : ﴿ إِنْ مِمَّا أَخَشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغِي فِي بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضْلَلَاتِ الْهَوَى ﴾ ^(١٥) .

فوق الاختلاف ، وحصل الجدل بالباطل ، وزين ذلك إبليس في أعين كثير من الناس ، وحسبوه عين العقل والاستقامة .

ولما كانت مسائل الأسماء والصفات من أعظم مطالب الدين ، وأشرف علوم الأولين والآخرين ، وأدقها في عقول أكثر العالمين - كان من أعظم ما حصل فيه الاختلاف ما أحدثته المبتدعة من الخوض في ذات الله وأسمائه وصفاته .

ومن أبين ذلك ما أحدثته الجهمية^(١٦) من وصف الباري سبحانه بالنقائص ، وتعطيل صفات الكمال التي أثبتها لنفسه ، وأثبتها له أعلم الخلق به رسول الله - ﷺ - ، فاعتقدوا أن صفات الله ليست على الحقيقة ، بل هي مجاز ، وأراد مؤسس منهجهم إبطال الرسالة ، كما يتضح ذلك من قوله : ﴿ ... لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصاحف ﴾ يقصد : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(١٧) .

وتأثر كثير من المسلمين بذلك ، وخاصوا في ذلك ، ففرقت الكلمة ، وأعجب كل حزب برأيه ، فظهر من نفى أسماء الله - تعالى - وصفاته ، وظهر من نفى صفاته مع إثبات أسمائه ، وظهر من أثبت الأسماء وبعض الصفات ، وكان التأويل المذموم ، وانحرف كثير من الناس بهذه الطرق والمناهج المبتدعة ، وما يزال التأثير بها قوياً ، رأينا أثره ، ولمسنا نتائج التساهل به عند بعض المتعلمين ، خاصة في هذا العصر الذي اختلطت فيه الثقافات ، وكثرت وسائل النشر لهذه الاعتقادات ، وأصبح الحق فيه عند بعض الناس غريباً ، واستعمل العقل في كثير من العلوم بعيداً عن الوحي ، وقللت منزلة وعظمة أسماء الله وصفاته ، التي تزيد الإيمان وتشعر العبد بعظمة الخالق الديان ، وأنه الواحد الفرد الصمد ، الذي تصمد إليه كل الخلائق ، هو وحده - سبحانه - المتصرف في هذا الكون ، له الكمال المطلق في ذاته وصفاته .

ولكن ضعف هذا الاعتقاد في نفوس كثير من المسلمين ، الذين تأثروا بالفلسفات الغريبة الحديثة والقديمة ، وأصبحوا في حاجة إلى معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، كما يستحق - سبحانه - لتنظيم حياتهم وتصحيح عبوديتهم له ، وطاعتهم لشرعه ، ولاشك أن من لم يعظم ويثبت صفاته - سبحانه - على ما يليق به إثباتاً صادقاً يستشعر فيه عظمة الله - تعالى - فإنه سيقصر في امتثال شرعه والعمل بأحكامه .

فالجهم بن صفوان^(١٨) المنكر لصفات الله ، لما أنكرها وأنكر أسماءه - سبحانه - ضعف يقينه بالله ، حتى شك في وجوده ، وذكر أنه بقي أربعين يوماً لا يصلي حتى يثبت أن له رباً يعبد^(١٩) .

فلا عبادة صحيحة ولا عمل بشرعه إلا بإثبات ربوبية الله - سبحانه - وعظمته
وكماله بأسمائه وصفاته .

ويهدف هذا البحث في صفة الرضا إلى طريقة إثبات هذه الصفة ، والتعريف بها ؛ من
نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وإلى كشف الزيف الذي تلبست به في كثير من كتب أهل الكلام .

كما يهدف تجلية القاعدة الضابطة في إثبات هذه الصفة ، كغيرها من صفات الله - عز وجل - الموضوع حماية للعقول والقلوب من الانحراف في توحيد الأسماء والصفات : أهم مباحث الاعتقاد المصحح لسير العباد على منهج شرع الله القويم .

فهذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح ، والأئمة الحنفاء ، وسار عليه أتباعهم بإحسان من بعدهم ، وإن من مهمات هذا البحث بيان فساد الانحرافات التي شط أصحابها عن منهج أهل السنة والجماعة في صفة الرضا ، بل وعن منهج القرآن والسنة من قبل ومن بعد .

وبيان معرفة هل صفة الرضا من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية .

ثم أثر الإيمان بشبوت هذه الصفة لله على سلوك العبد ، والتزامه شرع الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

ولهذا كله عزمت أن أذكر مذهب السلف ومن اتبعهم بإحسان - رحمة الله عليهم - في صفة الرضا ؛ ليسلك سبيلهم من أحب الاقتداء بهم والكون معهم في الدار الآخرة ، إذ كان كل تابع في الدنيا مع متبوعه في الآخرة ، وسالك حيث سلك موعوداً بما وعد به متبوعه من خير أو شر ، دل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٢٠) .

فكذلك كل من اتبع إماماً في الدنيا في سنة أو بدعة أو خير أو شر كان معه في الآخرة.

فمن أحب الكون مع السلف الصالح في الآخرة ، وأن يكون موعوداً بما وعدوا به من الجنات والرضوان ، فليتبعهم بإحسان : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢١) ، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢٢) .

ومن اتبع غير سبيلهم دخل في عموم قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ نَجَّوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ، وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢٣) .

وقد جعلت عنوانه ﴿ صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل وأثر الإيمان بها في حياة المسلم وبعد مماته ﴾ ، وكان بعد هذه المقدمة في عدة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الرضا في اللغة والشرع .

المبحث الثاني : قاعدة في إثبات الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : في إثبات صفة الرضا .

(أ) - بالقرآن الكريم .

(ب) - بالسنة النبوية .

(ج) - بالأثر .

(د) - بالعقل .

المبحث الرابع : في فضل صفة الرضا .

المبحث الخامس : صفة الرضا غير مخلوقة .

المبحث السادس : صفة الرضا ذاتية فعلية .

المبحث السابع : في مناقشة المعطلة لصفة الرضا .

المبحث الثامن : في أثر الإيمان بصفة الرضا في حياة المسلم وبعد مماته .

المبحث التاسع : في بعض أسباب حصول الرضا .

ثم الخاتمة .

وقد خرجت الأحاديث ، وعرفت بالأعلام غير الصحابة والمشهورين ، والفرق والملل ، ووضعت فهرس عامة للآيات والأحاديث والآثار والأشعار والمراجع ومباحث الكتاب . وحسبي أنني اجتهدت في بيان الحق لرضا ربي ورب الخلق ، وأسأل الله لي ولوالدي المغفرة والرضوان ، وإخلاص النية في الابتداء وحسن العمل وحسن المال ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه الكرام .

المبحث الأول : الرضا في اللغة والشرع

الرضا : مقصور ، مصدر رضي يرضى ، وهو ضد السخط ، والسخط : الكراهية للشيء وعدم الرضا به^(٢٤) .

والرضا من صفات القلب والذات ، ومن صفات الأفعال^(٢٥) ، ورضي عنه وعليه ، ورضيت الشيء ارتضيه ، فهو مرضي ومرضو^(٢٦) .

والرضا متضمن معنى الحب والإقبال ، ويعدي به على حملاً للشيء على نقيضه^(٢٧) . وفي التنزيل ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(٢٨) ، ومعناه : رضي عنهم أنفسهم ، ورضي أفعالهم ، ورضوا عن ربهم وعن ما جازاهم به^(٢٩) .

وأرضاه أعطاه ما يرضى به ، عكس رضاه : أي طلب رضاه^(٣٠) .

والرُضوان بالكسر ، والرُضوان بالضم ، والمرضاة مثله مصدر^(٣١) .

وبعد الرضاء إذا كان بمعنى المراضاة ، ويقصر إذا كان مصدر رضي يرضى فيكون مصدراً محضاً^(٣٢) .

وقد جاءت نصوص إثبات صفة الرضا لله - تعالى - في النصوص الشرعية بصيغة الماضي ، كما في قوله تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٣٣) ، وقوله : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (٣٤) ، وقوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (٣٥) ، ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣٦) ، وقوله : ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ (٣٧) ، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ (٣٨) .

وجاء إثباتها بصيغة المضارع كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (٣٩) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٤٠) ، وقوله : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ (٤١) ، وقوله : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ ﴾ (٤٢) ، وقوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٤٣) وغيرها ، وقوله ﷺ : ﴿ إِنْ أَلَّهِ لِيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ... ﴾ (٤٤) .

وجاء إثباتها بالمصدر ، كما في قوله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (٤٥) ، وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (٤٦) ، وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ (٤٧) ، وقوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ (٤٨) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٤٩) ، وغيرهما ، وفي الحديث : ﴿ ... أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ﴾ (٥٠) ، وفيه : ﴿ اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ﴾ (٥١) .

ومعنى الرضا مفهوم معلوم ، وكيفيته مجهولة ، والإيمان برضا الله واجب على ما يليق به - سبحانه وتعالى - .

قال الإمام الطبري في تفسيره : ﴿ واختلف في معنى الرضا من الله - جل وعز - ، فقال بعضهم : الرضا منه بالشيء : القبول له والمدح والثناء .

قالوا : فهو قابل الإيمان ، ومزك له ، ومثن على المؤمن بالإيمان ، وواصف الإيمان بأنه نور وهدى وفضل .

وقال آخرون : معنى الرضا من الله - جلّ وعز - معنى مفهوم ، هو خلاف السخط ، وهو صفة من صفاته على ما يعقل من معاني الرضا ، الذي هو خلاف السخط ، وليس ذلك بالمدح ؛ لأن المدح والثناء قول ، وإنما يثنى ويمدح ما قدر رُضي .
قالوا : ﴿ فالرضا معنى ، والثناء والمدح معنى ليس به ﴾ (٥٢) .

والصحيح القول الثاني ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - عظيم ، ومهما تخيل العبد من معاني العظمة فالله أعظم ممّا قد يتخيل ، وكذلك صفته ، ولو تخيل الإنسان عظمة صفات الله ، فصفاته - سبحانه - أعظم ممّا قد يتخيل وكماها أكبر ممّا قد يتخيل من الكمال ، فله الكمال المطلق ، وصفاته كمال مطلق - سبحانه وتعالى - .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ من تصور شيئاً اعتقد أنه حقيقة الرب فالله بخلاف ذلك ﴾ (٥٣) .

والله أعلم بحقيقة رضاه سبحانه ، بل بحقيقة كل صفاته ؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين - سبحانه وتعالى - إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد ولا تكييف ؛ وهو إثبات على الحقيقة .

فالرضا صفته - سبحانه - معلوم معناها ، نشئها على مراده - سبحانه - - على الحقيقة ، ولانعلم لأحد من تقدم أو تأخر أنه يتكلف أو يقصد إلى قول من عنده في صفة الرضا ، أو غيرها من الصفات ، أو في تفسير كتاب الله ، أو معاني حديث رسول الله - ﷺ - ، أو زيادة على ما في النص أو نقصان منه .

قال ابن خزيمة : ﴿ إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله - تعالى - نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن ، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا ، على سبيل الصفات لله - تعالى - والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله - تعالى - في تنزيله ونبيه الرسول - ﷺ - عن كتابه ، مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف ﴾ (٥٤) .

المبحث الثاني : قاعدة في إثبات الصفات

الأصل الذي تقوم عليه هذه الدراسة هو الوحي المنزل على محمد - ﷺ - فقد جاء معروفاً للعباد برب العباد ، والأصل في توحيد الصفات هو : ﴿ أَنْ يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا ، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ﴾ (٥٥) .

وقد كان السلف - رحمهم الله تعالى - على هذه القاعدة العظيمة وهذا الأصل الشريف ، فيثبتون لله ما أثبتته من الصفات ، من غير تكيف ولا تمثيل ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبتته من الصفات ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير إلحاد ، لا في أسمائه ، ولا في صفاته ، عملاً بقول الله - تعالى - في ذم الملحدين في أسمائه بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥٦) ، وذم الملحدين في آياته بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٥٧) .

وهذه الطريق هي الطريق المثلى ، فهي تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥٨) ، فقوله - سبحانه - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ نفي ورد للتمثيل والتشبيه ، وقوله - عز وجل - : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ مناقض للإلحاد والتعطيل (٥٩) .

فهذا المذهب يقوم على أسس سليمة هي :

- (١) - أن أسماء الله وصفاته توقيفية ، فما أثبتته الله لنفسه ، أو أثبتته له رسوله - ﷺ - وجب إثباته ، وما نفاه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله وجب نفيه ، أمّا ما لم يرد فيه نفي ولا إثبات ، كالعرض (٦٠) ، والجسم (٦١) ، والجوهر (٦٢) ، فيتوقفون فيه : لا يثبتونه ولا ينفونه .
- (٢) - أن ما وصف الله به نفسه فهو حق على حقيقته ، ليس فيه لغز ولا أجاج ، بل معناه يعرف حيث يعرف مقصود التكلم بكلامه ، فهم يثبتون ألفاظ الصفات ومعانيها التي تدل عليها هذه الألفاظ .

وبهذا الاعتبار فليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ، أو بعضه من التشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ويجب تفويض معناه إليه ؛ لأن هذا معناه جعل أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ، والله - تعالى - قد أمرنا بتدبر القرآن كله ، وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته ؛ لأن هذا معناه أنه أمرنا باعتقاد ما لم يوضحه لنا - تعالى الله عن ذلك - ، فمعاني الصفات معلومة عند السلف ، وكيفية مجهولة ، والإيمان بها واجب ، والسؤال عن كيفيةها بدعة .

وعلى هذا فالفاظ الصفات من قبيل المحكم ، وليست من التشابه ، فإن معناها واضح ومعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن ، وأما كيفيةها فمما استأثر الله - تعالى - بعلمه ، ومن نسب إلى السلف إدخال أسماء الله وصفاته أو بعضها في التشابه ، وأنهم يفوضون معناها فقد كذب عليهم .

(٣) - أنهم يثبتون لله الصفات إثباتاً بلا تمثيل ، فلا يمثلونها بصفات خلقه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ؛ ولأن العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، والله - تعالى - لا يعلم كيفية ذاته إلا هو ، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فكما أن الله ذاتاً لا تشبه الذوات ، فكذلك له صفات لا تشبه الصفات .

(٤) - وكما أنهم يثبتون لله الصفات التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ، من غير أن يشبهوها بصفات خلقه ، فهم كذلك ينزهون الله عن النقائص والعيوب ، تنزيهاً لا يفضي بهم إلى نفي صفاته وأسمائه الحسنى بتأويل معانيها أو تحريف ألفاظها عن مدلولها ؛ كما يفعله المؤولة ، فمذهبهم في ذلك وسط بين التمثيل والتعطيل ، فتجنبوا التعطيل في مقام النفي والتنزيه ، وتجنبوا التشبيه في مقام إثبات الصفات فسلموا من الإفراط والتفريط ، ومن الغلو والتقصير : (الغلو للمشبهة والتقصير للمعطلة) .

(٥) - طريقتهم فيما يثبتونه لله من الصفات وما ينفونه عنه من النقائص هي : الإجمال في النفي ، والتفصيل في الإثبات ، دل على ذلك الكتاب والسنة ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٦٣) فأجمل في النفي ، وهو قوله : ﴿ لَيْسَ

كَمَثَلِهِ شَيْءٌ ﴿٦٤﴾ ، وفَصَّلَ في الإثبات ، وهو قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، وكما ذكر في آية الكرسي ، وسورة الإخلاص ، وغيرهما .

ثُمَّ إنه يجب أن يُعلم أن النفي الوارد في هذا الباب ليس هو النفي المحض^(٦٤) ، وإنما هو النفي الذي يتضمن إثبات الكمال ؛ لأن النفي المحض لا مدح فيه ؛ لأنه عَدَمٌ محض والعدم ليس بشيء ، ولذلك فكل النفي الذي جاء في هذا الباب فهو لإثبات ضده من الكمال ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾^(٦٥) أي لكمال عدله ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتَوَدُّ حِفْظُهُمَا ﴾^(٦٦) أي لكمال قوته واقتداره ، ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ لكمال قيومته ، والله أعلم .

فهذه القاعدة التي تقوم على هذه الدعائم العظيمة : الإثبات المفصل ، والنفي المجمل ، وعدم التكيف والتمثيل ، أو التأويل والتحريف ، لمفضي إلى التعطيل ، هي : القاعدة السليمة السديدة ، التي تدل على علم السلف - رحمهم الله - بحقيقة ما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله - ﷺ - .

فكانوا أعرف الناس بربهم - سبحانه - ، وأعلمهم بما يستحقه - سبحانه - من كمال ، وأكثرهم تنزيهاً له عما لا يليق به - عز وجل - فلم يعطلوه من أسمائه وصفاته ، أو يكيفوها أو يخلوها بصفات خلقه ، أو يؤولوا نصوصها بغير المعنى المراد تأويلاً أو تحريفاً يفضي إلى تعطيلها أو تعطيل معانيها .

فكانوا أقرب الناس معرفة بمعاني الصفات ، وأبعدهم عن الخوض فيما لم يحيطوا به علماً مما أخبر الله - تعالى - عنه من الغيب ، فكما أنهم لم يحيطوا بذات الله علماً ، لم يكونوا يحيطوا بصفاته علماً : إذ الكلام في الصفات كالكلام في الذات ، أو كما قال السلف : ﴿ القول في الصفات كالقول في الذات ﴾^(٦٧) .

فكما أن له ذاتاً لا تماثل الذوات ، فكذلك له صفات لا تماثل الصفات ، إلا أن صفاته كانت دليل المعرفة به - سبحانه - ، فهي معلومة المعاني مجهولة الكيف .

فالرضا : صفة الله على الحقيقة ، ولها معنى يميزها عن غيرها من الصفات ، تعرف العرب ذلك من كلامها ، كما قال ابن عباس - رضي الله عنه - : ﴿ التفسير على أربعة

أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهله ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب ﴿٦٨﴾ .
فكيفية صفة الرضا وغيرها من الصفات لا يعملها إلا الله ، ومن ادعى علم ذلك فهو كاذب .

أمّا معناها فذلك ممّا يعلمه العباد من لغة العرب .

وهذا معنى ما يروى عن أم سلمة ^(٦٩) أنها قالت في قول الله - تعالى - : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(٧٠) : ﴿الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود له كفر﴾ ^(٧١) .

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن ^(٧٢) : ﴿الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق﴾ ^(٧٣) .

وقال مالك ^(٧٤) لمن سأل عن كيفية الاستواء : ﴿الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فخرج﴾ ^(٧٥) .

فكيفية الصفات - ومنها كيفية صفة الرضا - مجهولة للعباد ، مع العلم بمعانيها من لسان العرب ولغتها ، فالإيمان بالصفة - كما أخبر الله بها مع الجهل بكيفيتها - واجب ؛ لأنه من الإيمان بربوبية الله - تعالى - كما قال الرسول - ﷺ - : ﴿رضيتُ با الله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد - ﷺ - رسولاً﴾ ^(٧٦) .

وهذا هو المذهب الأسلم الأعلم الأحكم ، وهو مذهب السلف - رحمهم الله - الذي حكاه الإمام أبو عثمان الصابوني ^(٧٧) - رحمه الله - عنهم بقوله : ﴿يعرفون ربهم - عزّ وجل - بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله - ﷺ - على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويشتون له - جلّ جلاله - منها ما أثبت لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله - ﷺ - ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه﴾ ^(٧٨) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ إِنَّ سَلَفَ الْأُمَّةِ وَأَثَمَتَهَا كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَهُ - ﷺ - ، يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ ، وَلَا تَعْطِيلٍ ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ، وَلَا تَمْثِيلٍ ﴾ (٧٩) .

وقال - رحمه الله - : ﴿ وَيَقُولُونَ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ النَّبَوِيَّةُ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْعُقُولُ الزُّكِّيَّةُ الصَّرِيحَةُ ، فَلَا يَنْفُونَ عَنْ اللَّهِ - تَعَالَى - صِفَاتِ الْكَمَالِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴾ (٨٠) .

المبحث الثالث : الأدلة على ثبوت صفة الرضا لله تعالى

وصف الله تعالى نفسه بأكمل الأوصاف ، وأعظمها ، وأجلها في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، ومن صفاته التي وصف بها نفسه : صفة الرضا ، وقد ثبتت صفة الرضا لله بالقرآن ، والسنة ، والأثر ، والعقل ، وإليك بعض تلك الأدلة :

أولاً : من القرآن الكريم :

وصف الله نفسه بالرضا في آيات كثيرة من كتابه الكريم المنزل على رسوله محمد - ﷺ - منها : قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٨١) .

وقوله - عز وجل - : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٨٢) .

وقال - سبحانه - : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُواهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٨٣) .

وقال - تعالى - : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (٨٤) .

وقال - عز وجل - : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٨٥) .

وقال - تعالى - : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨٦) .

وقال : ﴿ وَمَا أَغْنَىٰكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى ، قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (٨٧) .

وقال - سبحانه - : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٨) .

وقال - عز وجل - : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ (٨٩) .

وقال - تعالى - : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (٩٠) .

وقال - سبحانه - : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُبَيِّنُ لَكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٩١) .

وقال - تعالى - : ﴿ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٩٢) .

وقال - عز وجل - : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٩٣) .

وقال - تعالى - : ﴿ قُلْ أُوْبَيِّتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٩٤) .

وقال - سبحانه - : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٩٥).

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٩٦).

وقال - عز وجل - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٩٧).

وقال - تعالى - : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٩٨).

ثانياً : من السنة :

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال النبي - ﷺ - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك . فيقول : هل رضىتم ؟ فيقولون : وما لنا لانرضى يارب وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك . فيقولون : يارب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ﴾ (٩٩).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها ﴾ (١٠٠).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : فقدت رسول الله - ﷺ - ليلة من الفراش فالتصتته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : ﴿ اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، ومعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ (١٠١).

وعن أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : ﴿ عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ﴾ (١٠٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يَلْقَىٰ لَهَا بَلَاءٌ يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَلْقَىٰ لَهَا بَلَاءٌ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ (١٠٣) .

وعن بلال بن الحارث المزني قال : قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبَ اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ - لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبَ اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ - عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ ﴾ (١٠٤) .

ثالثاً : من الأثر :

وفي الأثر أن أبا بكر - رضي الله عنه - كان يقول في دعائه : ﴿ أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، وَالشُّكْرَ لَكَ عَلَيْهَا حَتَّى تَرْضَى ، وَبَعْدَ الرِّضَى ... ﴾ (١٠٥) .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في معنى قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (١٠٦) : ﴿ لَمَّا حَجَبَ قَوْمٌ بِالسَّخَطِ دَلَّ عَلَى أَنْ قَوْمًا يَرُونَهُ بِالرِّضَا ﴾ (١٠٧) .

وذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل - رضي الله عنه - إلى أن الله - عزَّوَجَلَّ - يغضب ويرضى ، وأن له غضب ورضى ، وقرأ أحمد قوله - عزَّوَجَلَّ - : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (١٠٨) ... والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه ، لم يزل غاضباً على ما سبق في علمه أنه يكون ممن يعصيه ، ولم يزل راضياً على ما سبق في علمه أنه يكون ممماً يرضيه ﴿ (١٠٩) .

رابعاً : دلالة المعقول على صفة الرضا ، وذلك من وجهين :

الأول : إن الرضا صفة كمال ، ونفيها نقص ، والله - سبحانه وتعالى - لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه ، كما قال - سبحانه - : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١١٠) ، فإن الله لا مثل له ، بل له المثل الأعلى ؛ كما أخبرنا بذلك في قوله - سبحانه - : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١١١) ، وقال - سبحانه - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَسْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١١٢) .

فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل ، ولا في قياس شمول تستوي أفراده ، ولكن يستعمل في حقه المثل الأعلى ؛ وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال وهو يليق بالله فالله أولى به ، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالله أولى بالتنزه عنه^(١١٣) ، فإذا كان اتصاف المخلوق بالرضا كمال ونفيه عنه نقص ، فالله - سبحانه وتعالى - أولى أن يتصف بالكمال ولا يعطل منه ؛ لأن تعطيل الكمال عنه وصف له بالنقص .

إذن فالله موصوف بالرضا ، وهو كمال في حقه - سبحانه - ، بل صفة الرضا في حقه - سبحانه - أكمل من صفة الرضا في حق المخلوق ، بل رضا الله - سبحانه وتعالى - لا يماثل رضا المخلوق ، فإذا كان المخلوق منزهاً عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم أو اللفظ فالخالق - سبحانه - أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في اللفظ . إذن فالله - سبحانه وتعالى - متصف بصفة الرضا ، وهي صفة كمال لا تماثل صفات المخلوقين ، ونفيها عنه نقص ، ولا يجوز أن يوصف بالنقص ، أو يعطل من الكمال .

الثاني : الله - سبحانه وتعالى - وصف نفسه بالرضا في آيات كثيرة ، وكذلك وصفه بها الرسول - ﷺ - كما تقدم ، وهي صفة كمال لا تنقص به - سبحانه - ، فيكون نفيها تعطيلاً ورداً للنصوص الشرعية وإلحاداً في آيات الله - سبحانه - كما قال - سبحانه - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِيْءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾^(١١٤) وإلحاد في أسمائه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِيْءَأْسْمَائِهِ سُبُجُزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١١٥) ، وتعطيل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات صفة الرضا بالمعنى اللائق به - سبحانه - تكذيب لهما ، وتعطيل لما يستحقه الرب - سبحانه - من الكمال^(١١٦) ، والجحود بها كفر ؛ لأنه رد لخبر الله وكفر بكلامه - سبحانه - ، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر .

قال الشافعي : ﴿ لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيه ، لا يسع أحداً من خلق الله - تعالى - قامت عليه الحجة ردها ؛ لأن القرآن نزل بها ، وصح عن رسول الله - ﷺ - القول بها ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه ، فهو كافر بالله - تعالى - ، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل ؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ، ولا بالرؤية ، ولا بالفكر ﴾^(١١٧) .

المبحث الرابع : القول الحق في صفة الرضا

يعتقد السلف - رحمهم الله تعالى - أن الله - تعالى - صفة الرضا ، وهي قائمة به غير بائنة عنه^(١١٨) ، لا ابتداء لاتصافه بها ، ولا انتهاء ، فهو يرضى متى شاء ، كيف شاء - سبحانه وتعالى - ، فلا تقوم بنفسها ؛ لأن الصفة لا تقوم إلا بالذات الموصوفة بها ، كما أن الذات لا بد لها من صفة تميزها عن الذوات .

وكما أن جميع صفات الله غير مخلوقة فكذا صفة الرضا غير مخلوقة ، وأما أثرها وهو ما يحصل للعبد من النعمة ، واندفاع النقمة ، فذاك مخلوق منفصل عن ذاته - سبحانه وتعالى - .

وقد يسمى الأثر باسم الصفة^(١١٩) .

وهي على ما يليق به - سبحانه وتعالى - ، فكما أن له - سبحانه - ذاتاً على الحقيقة فله صفة على الحقيقة ، وكما أن ذاته - سبحانه وتعالى - ليست كذوات خلقه ، فكذا صفته ليست كصفات خلقه .

فرضاه - سبحانه وتعالى - ليس كرضا المخلوقين^(١٢٠) .

ولا يصح أن يقاس رضا الله - تعالى - على رضا المخلوقين ، فإذا كان الراضي ليس كالراضي ، فإن الرضا ليس كالرضا .

فلا يصح أن يدخل رضى الله مع رضا المخلوق في قياس تمثيل ، ولا قياس تستوي جميع أفرادهم ، فالله - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(١٢١) لا في ذاته ، ولا في صفاته - سبحانه - ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، وله المثل الأعلى .

فالله - سبحانه - حينما وصف نفسه بالرضا ووصف بعض المخلوقين بالرضا فليس الرضا كالرضا ، كما أنه ليس الراضي كالراضي ، فرضاه - سبحانه - على ما يليق به رضا يختص به ورضا المخلوق على ما يليق به ، ولا يلزم من تواطى الصفتين أو اشتراكهما في الاسم العام المشترك في المعنى العام : التماثل والتشابه ، فرضا الله - سبحانه - وإن أشبه رضى المخلوق من وجه فإنه مخالف له من وجه آخر .

إن شابه في اللفظ والمعنى العام ، فإنه لا يماثله في الحقيقة ، فحقيقة رضا الله ليست كحقيقة رضا المخلوق ، فكما أن حقيقة ذات الله - سبحانه وتعالى - ليست كحقيقة الذوات فكذلك صفته .

وصفة الرضا صفة ذاتية قائمة به - سبحانه وتعالى^(١٢٢) - لا تنفك عنه .

ولا ينتهي لرضاه - سبحانه - ، والرضا أحب إليه من الغضب^(١٢٣) .

كما أنها صفة فعل كما في قوله - تعالى - : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(١٢٤) تقوم بمشيئته وقدرته ، فهي صفة فعل اختيارية^(١٢٥) .

وصفات الذات وصفات الأفعال كلها كمال مطلق لله ، عالية وعظيمة ، وإن كان بعضهم يرى أن صفات الأفعال أدنى من صفات الذات^(١٢٦) .

والأدلة من الكتاب والسنة السابقة تدل على أنه يحصل أثر صفة الرضا في وقت دون وقت ، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط ، كما يحل السخط ثم يرضى ، وقد يحل الرضا أبداً ، كما في حال أهل الجنة في حديث البخاري ومسلم السابق ، وفيه : ﴿ أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ﴾ .

وقول الله - تعالى - : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾^(١٢٧) بين أنه - سبحانه - رضي الله عنهم ذلك الوقت ؛ لأن حرف إذ ظرف لما مضى من الزمان ، فعلم أنه ذاك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل وأثابهم عليه ، وكما يقال : المسبب لا يكون قبل سببه ، والمؤقت بوقت قبل وقته .

وإذا كان راضياً عنهم من جهة ، فهذا الرضا الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن إلا حينئذ ، كما في الحديث السابق ﴿ ... أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً ﴾^(١٢٨) .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ والرضا مستلزم الإرادة ، وإن لم يكن هو عين الإرادة ... ورضاه الذي يتضمن محبته ومشئته ﴾^(١٢٩) .

المبحث الخامس : صفة الرضا فعلية اختيارية

ومعتقد أهل السنة والجماعة أن الله - سبحانه وتعالى - موصوف بالصفات الاختيارية؛ كالرضا ، والكلام ، والغضب ، والسخط ، والإتيان ، والنزول ، وغيرها من صفاته - سبحانه وتعالى - التي تقوم بمشيئته واختياره .

ومعنى تعلقها بمشيئته واختياره : أنه تعالى يرضى ويتكلم ، ويأتي وينزل ويغضب ويسخط إذا شاء متى شاء ، فإن شاء غضب ، وإن شاء رضى ، وإن شاء لم يرض ، وإن شاء تكلم ، وإن شاء سكت^(١٢٠) .

والآيات والأحاديث السابقة دالة على أن صفة الرضا مع أنها صفة ذاتية فهي كذلك صفة فعلية اختيارية لتعلقها بمشيئته وإرادته - سبحانه وتعالى - مثل :

١ - قوله - عز وجل - : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾^(١٢١) .

٢ - وقوله - سبحانه - : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١٢٢) مع قوله - سبحانه - عن موسى - عليه السلام - : ﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾^(١٢٣) .

٣ - وقوله - تعالى - : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾^(١٢٤) مع قوله - عز من قائل - : ﴿ يَخْلُقُونَ لَكُمُ الْتَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾^(١٢٥) .

وكان النبي - ﷺ - يقول في دعائه : ﴿ اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وبرضاك من سخطك ... ﴾ .

قال الجزري في النهاية : ﴿ بدأ بالمعافاة ثم بالرضا ... لأنها من صفات الأفعال ﴾^(١٢٦) .

المبحث السادس : صفة الرضا غير مخلوقة

لاشك أن الله موصوف بالرضا ، ورضاه - تعالى - صفة من صفاته غير مخلوقة^(١٣٧) ، ومن المهم أن أشير إلى قضية مهمة في هذا قل ذكرها ، هي : أن الكلام في أن الصفات مخلوقة أو غير مخلوقة : كلام حادث لم يكن في صدر الإسلام ؛ لأنه من المسلم عند الصحابة والتابعين ومن اتبعهم : أن صفات الله غير مخلوقة ، فلذلك ما كانوا ليخوضوا في ذلك .

فصفة الرضا غير مخلوقة ، وما قيل عنها إنها مخلوقة إلا بعد ظهور الجهمية وأمثالها ممن قال بذلك ، فاضطر السلف - رحمهم الله - إلى المناقشة والرد على هؤلاء المبتدعة ؛ لأن حقيقة قول من قال : إنها مخلوقة هو إنكار صفة الله - تعالى - وتعطيلها . لكنهم لما علموا أن قولهم رد للنصوص الشرعية ، وتكذيب لها ، قالوا : هي مخلوقة .

فلا يعقل أبداً أن يقال : إن صفة الرضا الثابتة بقول الله - تعالى - : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾^(١٣٨) مخلوقة ، فاللغة لاتساعد من قال ذلك ، بل وكل الأدلة الدالة على معاني الألفاظ العقلية والنقلية تمنع ذلك .

وإضافة صفة الرضا إلى نفسه - سبحانه وتعالى - في آيات كثيرة تدل على اتصافه بها ، وأنها غير مخلوقة ، مثل :

١ - قوله - سبحانه - : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾^(١٣٩) ، فلا يصح أن يقال : لقد خلق رضاه عن المؤمنين ، فلا دليل على ذلك ، ولا يعقل .

٢ - قوله - سبحانه - : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴾^(١٤٠) .

٣ - وقوله - عز وجل - : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١٤١) .

وغير ذلك من الآيات السابقة وغيرها الدالة على أن صفة الرضا غير مخلوقة ؛ بل هي تابعة للذات الموصوفة ، فذاته - سبحانه - متفق على أنها غير مخلوقة ؛ فكذلك صفته ، فلا يتصف بصفة مخلوقة .

ومِمَّا يدل على أنها غير مخلوقة : استعاذة النبي -ﷺ- بها فقد كان من دعائه واستعاذته -ﷺ- : ﴿اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك﴾ .

فأثبت النبي -ﷺ- شرعية الاستعاذة بصفة الرضا ، فلو كانت مخلوقة لكانت الاستعاذة بها شركاً ؛ لأنها استعاذة بمخلوق ، ومعلوم أن الاستعاذة بغير الله - تعالى - وأسمائه وصفاته شرك ، فكيف يصح أن يعلم النبي -ﷺ- أمته ما هو شرك ظاهر ، وهو الذي جاءهم بالتوحيد الخالص ، ونهاهم عن الشرك ؟ بل وكانت رسالته ورسالة الأنبياء قبله : الدعوة إلى التوحيد ، والنهي عن الشرك .

فدل هذا على أن صفة الرضا غير مخلوقة ، بل وكل صفاته ، فالاستعاذة بالرضا استعاذة بصفته - سبحانه وتعالى - ، إذ رضاه - تعالى - صفته التي يرضى بها عمن يشاء من عباده ، وأما المخلوق فهو أثر تلك الصفة من النعم ودفع النقم فذلك منفصل عن ذاته - سبحانه وتعالى - وإن سمي باسم الصفة^(١٤٢) .

فيجب التفريق بين الرضا صفة الله - تعالى - ، وما سواه مما يحصل من أثره . والعقل الصريح المعافي من الشبهات والشبهات يدرك أن الرضا لو كان مخلوقاً فلا يخلو من أحد حالين :

- الحال الأول : أن يكون مخلوقاً قائماً بذات الله .
- الحال الثانية : أن يكون مخلوقاً منفصلاً عن الله بئناً عنه .
- وكلا الحالين باطل ، بل كفر شنيع .

أما الأول : فيلزم منه أن يقوم المخلوق بالخالق ، وهذا باطل في قول أهل السنة والجماعة ، وعامة أهل البدع ، فإن الله بائن من خلقه - سبحانه - مستغن عنهم من جميع الوجوه .

أما في الحال الثانية فيلزم منه تعطيل الله - تعالى - من صفة الرضا ؛ لأن الصفة لا تقوم إلا بالموصوف - كما سبق - فإن قامت بغيره كان وصفاً لغيره ، ولا بد أن يوصف بها ذات أخرى ، وهذا معناه أن الرب - سبحانه وتعالى - لم يتصف بصفة الكمال صفة الرضا ، وهذا تنقص لله وهو كفر بين .

وإذا علمت بأن الصفة لا تقوم بنفسها بل تقوم بغيرها ففي هذه الحال : إما أن تكون صفة للمخالق - سبحانه - قائمة به ، وإما أن تكون صفة للمخلوق قائمة به ولا بد ، فالحياة والمحبة والإرادة والعلم والرضا والقدرة وغيرها من الصفات إذا أضيفت لشيء كانت وصفاً له تابعة لمن قامت به .

فإذا أضيفت إلى الخالق - سبحانه - فهي صفات له قائمة به غير مخلوقة ؛ لأنه الخالق - سبحانه - لكل شيء ، وإذا أضيفت إلى المخلوق فهي صفات له قائمة به مخلوقة ؛ لأنه مخلوق .

فلما أضاف لنفسه رضا ، ووصف نفسه به ؛ كان رضاه غير مخلوق ؛ لأنه تابع له ، فذاته غير مخلوقة ، وكذلك صفته ، إذ يتنزه عند أهل السنة والجماعة عن الانصاف بمخلوق ، كما أن أهل البدع ينزهونه عن قيام الحوادث به ، فيلزمهم ذلك : القول بأن الله متصف بالرضا والرضا غير مخلوق .

المبحث السابع : مناقشة المخالفين للحق في صفة الرضا

تمهيد :

تستوقف المؤمن المتدبر لكتاب الله آيات إثبات صفة الرضا لله - سبحانه وتعالى - ، بل وتدفعه إلى زيادة الإيمان بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد - ﷺ - رسولاً ونبياً ، فيرغبه ذلك في امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والاستقامة على شرع الله ، والاهتداء بهدي رسول الله - ﷺ - .

ولكن في نفس الوقت يعجب كل العجب ممن يتأول هذه الصفة أو يعطلها ، زاعماً أن ذلك هو الحق ، وقد اشتبه عليه الحق بالباطل ، فانقلبت لديه المفاهيم ، فسوى بين المختلفات ، وفرق بين المتماثلات .

ولقد تبين لي بعد البحث والتأمل : أن ذلك يسبب قسوة في القلب ، وبعداً عن الحق . بل إن التأمل في كلام المعطلة والمؤولة للصفات أو بعضها ومنها الرضا ، ليجد أن العقل إذا لم يخضع للنصوص من الكتاب والسنة فيثبت ما أثبتت ويتفي ما نفت ، فإنه يزيغ

عن الحق ، ويبعد عن الهدى ، ويفقد الاطمئنان ، ولا يذوق طعم الإيمان ، كما يذوقه المؤمنون الصادقون الذين آمنوا بالله رباً ، آمنوا بربوبية الله ، آمنوا بأسمائه الحسنی وصفاته العليا ، آمنوا بأن له - سبحانه - ذاتاً لا تماثل الذوات ، وأن له أسماء وصفات لا تماثل سائر الصفات .

ولقد أدرك كثير من المعطلة للصفات والمؤولة لها أنهم أخطأوا الطريق الصحيح ولكن متى في أواخر الأعمار فقال بعضهم لما وصل إلى الخيرة في هل الصفات زائدة على الذات أم لا ؟ وهل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها ؟ قال : من الذي وصل إلى هذا الباب ؟ أو ذاق من هذا الشراب ؟ ثم أنشد :

نهاية إقدام العقول عقلال وغاية سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل ديننا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا^(١٤٣)

ثم قال : لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عيلاً ، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات ﴿ الرُّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(١٤٤) ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾^(١٤٥) ، وأقرأ في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(١٤٦) ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾^(١٤٧) ، ثم قال : ﴿ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ﴾^(١٤٨) .

وذكر الآخر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الخيرة والندم ، حيث قال :
لعمري لقد طففت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم^(١٤٩)

وقال الثالث : ﴿ لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني^(١٥٠) ، وها أنا ذا أموت على عقيدة أُمي ، أو قال على عقيدة عجائز نيسابور ﴾^(١٥١) .

وغير هؤلاء كثير ممن أدرك ما وقع فيه من الخطأ والانحراف عن طريق الكتاب والسنة في هذا الباب .

موقف المعطلة من صفة الرضا ومناقشتهم :

وقد خالف الحق وجانب الصواب ، وعارض الأدلة من الكتاب والسنة في صفة الرضا: المعطلة من الجهمية والمعتزلة^(١٥٢) ، ومن وافقهم ، فقالوا : إن الرضا لا يقوم با لله - سبحانه - ، بل هو مخلوق ، فرضاه عن المؤمنين ثوابه ، والثواب مخلوق^(١٥٣) .

والجواب عن ذلك - مع ما سبق - من وجوه :

أحدها : أن هذا مفارقة للحق وأهله ، من السلف ، والأئمة ، وأهل الفقه ، والحديث ، وجميع المثبتة للصفات^(١٥٤) .

ثانيها : أن الذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف : أن الخلق غير المخلوق ، فالخلق فعل الخالق ، والمخلوق مفعوله ، ولهذا كان رسول الله - ﷺ - يستعبد بأفعال الرب وصفاته كما سبق في قوله - ﷺ - : ﴿ أعوذ برضاك من سخطك ﴾ فاستعاذ برضاه والاستعاذة لا تكون إلا بالله أو بصفته^(١٥٥) .

ثالثها : أن الاستعاذة كما في الحديث السابق لم تكن بمخلوق ؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، والرسول - ﷺ - إنما جاء يدعو إلى توحيد الله - سبحانه - ، وعدم الإشراك معه ، أو به غيره ، بل هي رسالة الرسل جميعاً - كما سيأتي - فدل ذلك أن الله صفات ، ومنها الرضا ، وأنها غير مخلوقة ، بل هي صفة ذاتية فعلية اختيارية ، تقوم بمشيئته وقدرته .

رابعاً : ما ذكره الخلال^(١٥٦) في عقيدة الإمام أحمد بن حنبل ، وهو : أن أصحاب الإمام أنكروا على من يقول : ﴿ إن الرضى مخلوق ﴾ ، وقالوا من قال ذلك لزمه أن رضا الله على الأنبياء والمؤمنين يفنى حتى لا يكون راضياً^(١٥٧) .

قلتُ : فالذي يفنى ويموت هو المخلوق ، ولا يبقى غير الخالق - سبحانه - بذاته وصفاته ، وقد وصف نفسه بالرضا ، وذاته غير مخلوقة - فهو الخالق - فكذلك صفته ؛ لأن الصفة تابعة للموصوف ، والقول في الصفة كالقول في الذات .

مناقشة الكلاية ومن وافقهم :

أما الكلاية^(١٥٨) وموافقهم من السالية^(١٥٩) وغيرهم ، فيقولون : تقوم بذاته بغير

مشيئته وقدرته .

أما ما يكون بمشيئته وقدرته ، فلا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه^(١٦٠) .

فيقولون : الرضا قائم بذاته ، وليس فعلاً .

وشبهتهم : أنه متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة ، ولا تكون بمشيئته .

وأن ما يكون بمشيئته فإنه حادث ، والرب - تعالى - لا تقوم به الحوادث .

ويسمون الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث ، فإنه إذا رضي عن عبده بمشيئته وقدرته ، كان ذلك الرضا حادثاً .

فلو اتصف الرب به لقامت به الحوادث فهو حادث ، قالوا : ولأن كونه قابلاً لتلك الصفة : إن كان من لوازم ذاته كان قابلاً لها في الأزل ، فيلزم جواز وجودها في الأزل ، والحوادث لا تكون في الأزل ؛ لأن ذلك يقتضي وجود حوادث لا أول لها ، وذلك محال^(١٦١) .

١ - قلتُ : يقال لهم : والرضا صفة كمال لا صفة نقص ، ومن رضي بمشيئته أكمل من لا يرضى بمشيئته ، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق ؟ .

٢ - فضلاء المشاركين لهم في هذا القول كالنصر الرازي^(١٦٢) ، وسيف الدين الآمدي^(١٦٣) وغيرهما معترفون بأنه ليس لهم حجة عقلية على نفي الصفات الاختيارية^(١٦٤) .

والأمر كذلك ، فليس لهم دليل نقلي أو عقلي على ما قالوه ، بل النص والعقل يدلان على خلاف ما قالوا ، كما في الأدلة التي ذكرناها سابقاً .

٣ - أن قوهم هذا يدل على جهلهم بالفرق بين صفة الله التي هي الرضا وبين أثرها الذي قد يسمى باسم الصفة .

فالصفة تابعة للذات غير مخلوقة ، أما أثرها فهو مخلوق ، وفرق بينهما ، فالأثر غير الصفة ، والصفة غير الأثر وإن سمي باسمها ، فيقال للمرضي به رضا ، وللمأمور به أمراً ، وللمرحوم رحمة ... لكن يقال له : هذا كله ليس هو حقيقة الصفة عند الإطلاق^(١٦٥) .

وبهذا يتبين خطأ قول من قال : ﴿ الرضا إما ثوابه فيكون صفة فعل ، وإما ثناؤه فهو صفة ذات ﴾^(١٦٦) .

٤ - أن الفعل نوعان : متعد ولازم ، وفعل الرضا متعد ، وكلا الفعلين حاصل بمشيئته وقدرته ، والله متصف به^(١٦٧) .

وفي الحديث : ﴿ فيسألونه الرضا ، فيقول : رضاي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرضا ، فيشهدهم الرضا ﴾^(١٦٨) .

شبهة التجسيم والجواب عنها :

ما من ناف لشيء من الأسماء والصفات إلا ويزعم أنه قد قام عنده دليل العقل على أنه يدل على التجسيم ، فيكون متشابهاً ، فيلزم حينئذ أن تكون جميع الأسماء ، والصفات متشابهات ، وحينئذ فيلزم التعطيل الخفض ، وأن يفهم من الأسماء والصفات معنى ، ولا يميز بين معنى التقدير والسميع والبصر والمؤمن والتكبر والباري ، ولا بين معنى الإرادة والرضا والعفو والغفران والخلق والاستواء ونحوها^(١٦٩) .

فإن قال أهل الشبهة : لا يعقل رضا إلا ما يقوم بقلب هو جسم .

قيل لهم : ونحن لانعقل علماً إلا ما هو قائم بجسم ، ولا إرادة إلا ما هو قائم بجسم ، ولا سمعاً ، ولا بصرأ ، إلا ما هو قائم بجسم ، فلم فرقتم بين المتماثلين ، وقلتم إن هذه يُمكن قيامها بغير جسم ، والرضا لا يُمكن قيامه إلا بجسم وهما في المعقول سواء ؟ .

فإن كان ما تثبتونه مائلاً لصفات العبد ؛ لزكم التمثيل في الجميع ، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله - تعالى - من غير مماثلة بصفات المخلوقين فاثبتوا الجميع على هذا الوجه ، ولا فرق بين صفة وصفة في الإثبات^(١٧٠) .

من الردود على من نفى صفة الرضا :

وقيل لهم أيضاً : من نفى صفة الرضا أو غيرها من الصفات فراراً بزعمه من التشبيه والتركيب والتجسيم ؛ فإنه يلزمه فيما أثبتته نظير ما ألزمه لغيره فيما نفاه هو ، فإن كان ممن يثبت بعض الصفات كالحياة والعلم والإرادة وغيرها كالأشعرية ومن وافقهم على مذهبهم . يُمكن منازعته بما أثبتته ، وذلك بأنه يلزمه أن يثبت صفة الرضا كما أثبت العلم والحياة والإرادة وغيرها ، فلا فرق بينهما^(١٧١) .

فالقول في بعض كالقول في البعض الآخر .

فإذا كان يقول : إن الله متصف بصفة العلم ، أو الإرادة ، أو القدرة ، أو غيرها ، ولا يلزم من ذلك تشبيه ، ولا تجسيم ، ولا تركيب فيلزمه أن يثبت الرضا وغيرها ممّا نفى ، ولا يلزم من إثباتها تشبيه ، ولا تجسيم ، ولا تركيب .

وإن كان ممن ينفي الصفات ، ويثبت الأسماء ، فكذلك نقول له : يلزمك أن تثبت صفة الرضا ، وغيرها ، كما أثبت الأسماء .

فإن قلت : أثبت الأسماء ، ولا يلزم من إثباتها تشبيه ، ولا تجسيم .

قلنا لك : فأثبت الصفات أيضاً ، فإثباتها لا يلزم منه تشبيه ، ولا تجسيم ، فالقول في بعض كالقول في البعض الآخر^(١٧٢) .

٢ - وإذا قال : الرضا وغيرها من الصفات من صفات الأجسام ، ولا نرى ما هو متصف بها إلا ما هو جسم ، قلنا له :

وكذلك الإرادة التي تثبت بها ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، وغيرها ، لا نرى في الشاهد ما هو موصوف بها إلا جسماً .

فإن نفيت ما نفيت لكونك لا تعلمه إلا صفة لما هو جسم ؛ فانف الباقي ؛ لأنك لا تجد في الشاهد إلا ما هو جسم ، بل والأسماء ، بل وكل شيء ، لأنك لا تجد متصفاً به ، أو مسمى به ، أو ما هو موجود إلا جسماً .

فالقول في بعض كالقول في البعض الآخر .

وإن قال : أنا أثبت العلم والإرادة والحياة والحياة ونحوها على ما يليق بالله ، فله إرادة لا تشبه إرادة المخلوق ، وله علم لا يشبه علم المخلوق ، وله سمع لا يشبه سمع المخلوقين - وهكذا - .

قلنا له : وكذلك له رضا ومحبة ورحمة لا تشبه رضا المخلوق أو محبته أو رحمته ، فإن أثبت ما أثبت لكونها لا تماثل صفات المخلوقين ؛ فقل مثل ذلك في الرضا ، ونحوها من الصفات التي نفيتها^(١٧٣) ، فيلزمكم فيما نفيت من الرضا ونحوها نظير ما أثبتموه من الإرادة والعلم وغيرها .

فإنَّما أن تعطلوا الجميع ، وهذا ممتنع ، وإنَّما أن تمثلوهم بالمخلوقات ، وهو ممتنع ، وإنَّما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره .

وحينئذٍ لا فرق بين صفة وصفة من حيث الإثبات ، فإثبات إحداهما ونفي الأخرى فراراً من التشبيه والتجسيم قول باطل ، يلزم منه التفريق بين التماثلات ، والتناقض في المقاليتين^(١٧٤) .

ويقال لهم كذلك : ما مرادكم بالجسم ؟ أتريدون بالجسم البدن المكون من المادة والصورة ؟ ، فهذا لا يطلق على الله - تعالى - ، أو تريدون ما يسمى بأسماء ، ويوصف بصفات ، فالله - عز وجل - وصف نفسه بالرضا وغيرها من الصفات ، ووصفه بها أعلم الخلق به محمد - ﷺ - .

فإن قال : إن العقل يدل على إثبات العلم ، والإرادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والقدرة ، والكلام دون الرضا وغيرها من الصفات .

قلنا : الجواب عن ذلك من وجوه :

الأول : أن دلالة العقل على ما تقول لا يستلزم عدم الدليل على إثبات الرضا ، وغيرها من الصفات .

فلو أن العقل لم يثبت ما نفيت فإنه لا ينفيه ، وليس لك أن تنفيه بغير دليل ؛ لأن النافي عليه الدليل على ما نفاه ، كما أن على المثبت الدليل على ما أثبتته ، فيجب إثبات ما نفيت لثبوته بالدليل السمعي ، مثل قوله - تعالى - : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾^(١٧٥) .

الثاني : أنه يمكن إقامة الدليل العقلي الذي أثبت به ما أثبت على إثبات صفة الرضا وغيرها مما نفيت ، فإذا دلّ الدليل العقلي على إثبات الإرادة والسمع والبصر وغيرها مما أثبت وهو سالم عن المعارض فإنه يثبت أيضاً صفة الرضا وغيرها مما نفيت من غير دليل سمعي ولا عقلي .

الثالث : السمع دل على صفة الرضا ، مثل قوله - تعالى - : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾^(١٧٦) ، وقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾^(١٧٧) ، وغيرهما .

وقوله -ﷺ- السابق : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ۖ﴾ .

والعقل لا ينفي هذه الأدلة وغيرها ، مما يدل على صفة الرضا ، فيجب العمل بالدليل السالم عن المعارض^(١٧٨) .

الرابع : إن الرجوع إلى العقل في الإثبات والنفي مخالف لما كان عليه سلف الأمة ، وأئمتها ، من الصحابة ، والتابعين ، ومن تبعهم ، فما منهم أحد رجع إلى العقل في ذلك ؛ وإنما يرجعون إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد -ﷺ- ، فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له أعلم الخلق به -ﷺ- أثبتوه ، وما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه الرسول -ﷺ- نفوه ، مع إثباتهم ما أثبتته ، إثباتاً بلا تمثيل ، ونفياً بلا تعطيل .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : ﴿وصفاته منه وله ولا تتعدى القرآن والحديث﴾^(١٧٩) .

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : ﴿حرام على العقول أن تمثل الله - تعالى - ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه -ﷺ-﴾^(١٨٠) .

وبعضهم يرى أن الرضى والسخط والكراهة المراد بها أمره ونهيها ، أو ثوابه وعقابه .

أي أن الرضا هو الأمر ، أو هو الثواب ، والسخط هو العقاب .

وهذا مذهب الأشاعرة^(١٨١) .

وهذا تأويل ، وتكلف ، لم يدل عليه دليل لا سمعي ولا عقلي ، إنما هو تحريف للكلم عن مواضعه .

والواجب على المسلم الإيمان بصفات الله التي وصف بها نفسه ، من غير تأويل ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل .

وقد روي عن الإمام الشافعي أنه قال : ﴿آمنت بما جاء عن الله على مراد الله ، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله﴾^(١٨٢) .

وقال سفيان بن عيينة : ﴿ كل ما وصف الله - تعالى - به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ، ولا كيف ، ولا مثل ﴾ (١٨٣) .

المبحث الثامن : أثر الإيمان بصفة الرضا في حياة المسلم

لقد قام هذا الدين على أصول ثلاثة ، هي :

١ - معرفة العبد ربه .

٢ - معرفة العبد دينه .

٣ - معرفة العبد نبيه - ﷺ - .

ومعرفة العبد ربه تتمثل في معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فلا يكون الإنسان على حقيقة من دينه إلا بعد العلم بالله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدَنبِكَ ﴾ (١٨٤) ، وأعلم الخلق بالله ﷻ بأسمائه وصفاته ﷻ أخشاهم لله ، وأتقاهم ، ولذلك لا يستطيع العباد إدراك حقيقة العبودية لله ، وتحقيقها قولاً وعملاً إذا لم يعرفوا صفات الله - عز وجل - .

ومن نفى أسمائه وصفاته كان أجهل الناس به ، وبمقدار ما ينفي العبد من صفات الله يغلب عليه الجهل ، ويقسو قلبه ، وتنحرف عبادته .

فهذا الركن العظيم من ركني التوحيد - توحيد العلم والاعتقاد وتوحيد الإرادة والقصد - تحقيقه تركية للنفس وإقامة لها على طاعته ، وسبب للعصمة من الزلزل والانحراف ، ويفتح الأمل ، ويبقي من الخمول والكسل .

ولهذا كان رسول الله - ﷺ - يقرأ بما تتضمن العلم بالصفات والعمل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١٨٥) و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (١٨٦) في ركعتي الفجر والمغرب والطواف وغير ذلك (١٨٧) ، فعلم العبد بتفرد الرب بالخلق ، والإحياء ، والإماتة ، والرزق ، والرضا ، وغيرها من الصفات ، يورث العمل بمقتضياتها .

ولهذا عظمت نصوص الأسماء والصفات ؛ لأنها تتحدث عن الواحد الأحد صاحب الصفات العظيمة مثل آية الكرسي وقل هو الله أحد وغيرها .

بل إن العلم بالصفات والعمل بمقتضاها أصل للعلم بكل معلوم والأمر به ، ولذلك يزيد إيمان المؤمن بإثبات صفات الله - تعالى - على ما أراده الله ، وعلى ما أراده رسوله - ﷺ - فيما وصفه به .

ولهذا قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : ﴿ آمنت بما جاء عن الله على مراد الله ، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله - ﷺ - ﴾ (١٨٨) .

وما أعظم ثواب من عمل بمقتضى صفات الله - تعالى - كما في الآيات التي ذكرتها في الأدلة على ثبوت هذه الصفة ، ولا يتحقق تعظيم الله وتمجيده ودعاؤه إلا بأسمائه وصفاته ، وإثبات صفة الرضا والعمل بمقتضاها من تعظيم الله وتمجيده ودعاؤه ؛ كما في الحديث السابق : ﴿ اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، ومعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ .

وهذا هو الصراط المستقيم الذي التزمه مثبتة الصفات : أهل السنة والجماعة .
وإليك أخي المؤمن نبذة يسيرة عن أثر هذه الصفة في حياة المسلم الموحد المثلث لصفة الرضا :

الاستعاذة بصفة الله من كمال التوحيد ، فكان من دعاء النبي - ﷺ - : ﴿ اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، ومعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ... ﴾ .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ فاستعاذ بصفة الرضا من صفة الغضب ، وبفعل العافية من فعل العقوبة ، واستعاذ به منه باعتبارين ، وكأن في استعاذته منه جمعاً لما فصله في الجملتين قبله ، فإن الاستعاذة به منه ترجع إلى معنى الكلام قبلها مع تضمنها فائدة شريفة وهي كمال التوحيد ، وأن الذي يستعيذ به العائد ويهرب منه إنما هو فعل الله ومشيبته وقدره ، فهو وحده المتفرد بالحكم ، فإذا أراد بعبده سوءاً لم يعذه ﴾ (١٨٩) .

والتأمل للحديث السابق يجد أن الرسول - ﷺ - استعاذ بصفة الرضا من صفة السخط، وبفعل المعافاة من فعل العقوبة ، فالأول للصفة ، والثاني لأثرها المترتب عليها ، ثم ربط ذلك كله بذاته - سبحانه - ﴿ وبك منك ﴾ ؛ لأن ذلك كله راجع إليه وحده دون سواه (١٩٠) .

وأثر صفة الرضا دائم في الآخرة بدوام رضاه سبحانه وتعالى^(١٩١).

ويستحيل تخلف آثارها ومقتضاها عنها ؛ لأن ذلك تعطيل لأحكامها كما أن نفيها نفي لحقائقها ، وكلا التعطين محال عليه - سبحانه وتعالى - ، فمن عطل صفاته - سبحانه - ، فقد عطل الله مما يستحق ، ومن لم يعمل بمقتضاها فقد عطل أحكامها وموجباتها ، ومن جمع بين التعطين فقد حاز الكفر كله .

إن الحصول على رضا الله سبحانه وتعالى - أثر الصفة - درجة رفيعة من درجات المؤمنين الصادقين ، كما في قوله - سبحانه - : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ في سورة المائدة ، وفي سورة التوبة ، وفي سورة البينة وغيرها .

فهم يحصلون على درجة الرضا عنهم عند دخولهم الجنات وخلودهم فيها فيغمرهم رضاه - سبحانه - ويلبغوا درجة الرضا بما لقوا من نعيم ربهم الكريم .

ورضا الله - سبحانه وتعالى - من أعظم ما يتمتع به المؤمن الصادق ، فهو بما يصحبه من نعيم مقيم إلا أنه في ذاته هو النعيم فهو أعلى وأكرم مثوبة من الله ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(١٩٢) .

ما أعلى رضا الله - سبحانه - وأكمله ، وما أندر وما أنعم وما ألد أثر هذه الصفة العظيمة ، أثر صفة الرضا عظيم ، وهو خاص بحزب الله المفلحين بخير البرية ، هم أهله ، وهم الراضون به ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ، جَزَاءُؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾^(١٩٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية : ﴿ ومقام رضاه أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ﴾^(١٩٤) .

أما الفاسقون العاصون لأمر الله وأمر رسوله ﷺ - فهم الخرومون من رضى الله - سبحانه وتعالى - وأولهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم وظاهرهم : آمنا أو أسلمنا وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ، فهؤلاء ، قال الله فيهم : ﴿ يَخْلَفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا

عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٩٥﴾ ، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ ﴿١٩٦﴾ .

إن رضى الله عن العبد أكبر نعمة ينعمها الله على عبده : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ...﴾ ﴿١٩٧﴾ .

قال ابن كثير - رحمه الله - : ﴿وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة ، وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص فيها لله - عز وجل - ، والاحتساب عند الله - تعالى - جزيل الثواب وهو الجنة ، المشتملة على فضل الله - عز وجل - وهو سعة الرزق عليهم ، ورضاه - تعالى - عنهم ، وهو أكبر من الأول﴾ ﴿١٩٨﴾ .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٩٩﴾ .

فرضا الله عن المؤمنين أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم .

أكبر من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار المعدة للخلود فيها أبداً .

وأكثر من المساكن الطيبة القرار ، الحسنة البناء ، الموصوفة من رسول الله - ﷺ -

بقوله : ﴿جنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن﴾ ﴿٢٠٠﴾ .

وقال رسول الله - ﷺ - : ﴿إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً من السماء ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً﴾ ﴿٢٠١﴾ .

فرضا الله على المؤمن أكبر من الجنة التي هي : ﴿مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض﴾ ﴿٢٠٢﴾ .

وصدق الله العظيم : ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .

أخرج الإمام مالك ، عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ -

قال : ﴿إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا

وسعدك ، واخبر في يدك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك . فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ﴿٢٠١﴾ .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل - : ﴿ هل تشتهون شيئاً فأزيدكم ؟ قالوا : يا ربنا ما خير مما أعطيتنا ؟ قال : رضواني أكبر ﴾ (٢٠٢) .

وعن عروة قال : ﴿ أفضل ما أعطي العباد في الدنيا العقل ، وأفضل ما أعطوه في الآخرة رضوان الله - عز وجل ﴾ (٢٠٤) .

بل إن أكبر نعيم يتحقق للمؤمن يوم القيامة - وهو رؤيته سبحانه وتعالى - إنما تكون مع تحقق الرضا ، كما في قوله سبحانه : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٠٥) .

وعند مسلم ، عن أبي سعيد الخدري في الرؤية من حديث طويل ، وفيه : ﴿ ... فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين . فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقولون : رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً ﴾ (٢٠٦) .

وفي كتاب الزهد لابن المبارك : ﴿ وغضب الله ... لا دواء له إلا رضوان الله - تعالى - ﴾ (٢٠٧) .

فليبشر المؤمن الصادق فله الرضا من الله ، كما قال الله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٠٨) .

ولقد قص الله علينا في كتابه الكريم أنباء وأخبار المستحقين لرضوانه - سبحانه وتعالى - على مستوى الجماعة ، وعلى مستوى الفرد ، كما في قوله - عز وجل - : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٢٠١) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسير الآية : ﴿ يقول تعالى مبيناً حال المستحقين لمال الفياء أنهم ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿ أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴾ وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿ أي : هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين ﴾ (٢١٠) .

الذي يطلب رضا الله ويعمل من أجله هو الصادق في قوله وعمله ، فهم يطلبون الرضا ويتبعون مرضاة الله ، ولذلك قص الله - تعالى - أمر موسى - عليه السلام - - حينما عجل لإرضاء ربه وحصوله على رضاه فقال - سبحانه - : ﴿ وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (٢١١) ، وموسى من رضى الله عنهم ، ولكن كان شغوفاً ليزيد رضى الله عنه فسبق قومه لذلك فقال : ﴿ لِتَرْضَى ﴾ أي لتزداد عني رضا (٢١٢) .

وكم رغب الله في رضاه ، والحصول على أثر هذه الصفة العظيمة ، في مثل قوله - سبحانه - : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢١٣) .

فالآخرة كائنة لا محالة ، حذر الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية من أمرها ، ورغب فيما فيها من الخير فقال - سبحانه - : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ فليس في الآخرة القريبة إلا هذا أو هذا ، إمّا عذاب ، وإمّا مغفرة من الله ورضوان (٢١٤) .

فهي دعوة وترغيب في طلب رضوان الله ومغفرته .

ولذلك فالمؤمن يطلب رضا الله حتى لو وصل به ذلك إلى إسقاط الناس ، بل وليس الأبعد ولكن حتى لو سخط الأقارب ، كما قال - سبحانه - : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢١٥) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : ﴿ ... وفي قوله تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ سر بديع ؛ وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله - تعالى - عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم ﴾ (٢١٦) .

والاقتداء بالرسول في طلب رضا الله هو المأمور به في آيات كثيرة ، منها : قوله - تعالى - عن إسماعيل - عليه السلام - : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (٢١٧) .

ولقد كان محمد - ﷺ - أذكى من رضي الله عنهم ، فكانت له الشفاعة العظمى .
وكم من شافع لاتنفع شفاعته يوم القيامة ؛ لأن الله لم يأذن ، ولم يرض له قولاً ، ولم يرض عن المشفوع له ، كما قال - سبحانه - : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (٢١٨) ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَمْ مِمَّنْ مَلَكَ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٢١٩) ، وقال - عز وجل - : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ (٢٢٠) .

فلا بد في الشفاعة من الرضا :

١ - الرضا عن الشافع .

٢ - الرضا عن المشفوع له ، مع إذنه - سبحانه - بالشفاعة (٢٢١) .

وهذا في الشفاعة العامة التي للنبي -ﷺ- ولسائر الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، أمّا الشفاعة العظمى فهي خاصة به -ﷺ- وهي المقام المحمود ، الذي يدل على أن محمداً -ﷺ- خير من رضي الله عنه .

وكم هي أمنية المؤمن الصادق أن يحصل على رضا الله - تعالى - كما قال - سبحانه - عن سليمان - عليه السلام - : ﴿ وَخَشِيَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، فَبَيَّسَ صَاحِبُهَا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٢٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ أي : عملاً تحبه وترضاه ﴿ (٢٢٣) .

وهذا التعبير من سليمان - عليه السلام - ، يشير بنعمة الله عليه ، ويصور نوع تأثيره ورضاه بما أنعم الله عليه ، فهو بهذا : توجه بقوة وارتعاش وجدان ، وارتياح بال ، إلى طلب ما يحقق له رضا الله ، بأن يوفقه إلى شكر نعمة الله عليه ، وعلى والديه ، وإلى عمل ما يرضي الله - سبحانه - .

والتشوق إلى رضا الله - عز وجل - ورحمته في اللحظة التي تتجلى فيها نعمته منزلة شريفة يتميز بها عباد الله المخلصين الصادقين الصالحين .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٢٤) .

نزلت في صهيب بن سنان الرومي - رضي الله عنه - ، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجرد ويهاجر فعل ، فتخلص منهم وأعطاهم ماله ، فأنزل الله فيه هذه الآية ، فتلقاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وجماعة إلى طرف الحرة في طرف المدينة النبوية ، فقالوا له : ربح البيع ، فقال : نعم ، وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم ، وما ذاك ؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية (٢٢٥) .

إي والله ربح البيع صهيب ، وكل مجاهد ، وكل مهاجر قد هجر الشرك ، وهجر الكبائر والمعاصي ، وفدا دينه وعبادته وتوحيده ، وابتغى مرضاة الله - تعالى - .

وفي الحديث : عن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ إِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمِسَ مَرْضَاةَ اللَّهِ - تعالى - فلا يزال بذلك فيقول الله - عز وجل - لجبريل إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي عليه ، فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ، ويقولها حملة العرش ، ويقولها من حولهم ، حتى يقولها أهل السموات السبع ، ثم يهبط إلى الأرض ﴾ (٢٢٦) .

ولا يستوي من طلب الرضا واتباع الرضا مع من باء بسخط الله واتباع الغواية ، وانحرف عن عبادة الله ، وأسخط ربه بشركه ، وضلاله : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَنَسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٢٧) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ﴿ أي لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وحزيل ثوابه ، وأجير من وبيل عقابه ، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه ، ومأواه يوم القيامة جهنم وساءت مصيراً ﴾ (٢٢٨) .

قلت : لا يستوي من أسس حياته على تقوى من الله ورضوانه ، ومن أسس حياته على النفاق والصد عن رضا الله ، وفرق بين المؤمنين أو حارب أمر الله ورسوله ، أو تركه ولم يعمل به .

قال الله - تعالى - : ﴿ أَفَمَنْ أَكْسَبَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَكْسَبَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٢٩) .

وقال - سبحانه - : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٣٠) .

ولهذا كله يجب على كل مسلم إعانة طالب الرضا وعدم صده عن ذلك ، فالله - سبحانه - يقول - وقوله الحق - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَتَتَفَعُونَ فُضُلًا مِّنْ رَبِّهِمْ

وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣١﴾ .

فمن معاني الآية : ﴿ ... لاتستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام ، الذي من
دخله كان آمناً ، وكذا من قصده طالباً فضل الله وراغباً في رضوانه ، فلا تصدوه ولا تمنعوه
ولا تهيجوه ﴾ (٢٣٢) .

وقوله : ﴿ وَرِضْوَانًا ﴾ قال ابن عباس : ﴿ يترضون الله بحبهم ﴾ (٢٣٣) .
ورضا الله - سبحانه وتعالى - من خير ما يعطيه لعباده الصالحين يوم القيامة ، كما في
حديث أنس - رضي الله عنه - ، وفيه : ﴿ ... ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ فيقول : أنا الذي صدقتم
وعدي ، وأقمتم عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرضا ، فيقول :
رضائي أحلكم داري ، وأنا لكم كرامتي ، فسلوني ، فيسألونه الرضا ، فيشهدهم الرضا ،
ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَوْا ، ولم يخطر على قلب بشر إلى مقدار منصرفهم من الجمعة ... ﴾
الحديث (٢٣٤) .

﴿ قُلْ أَوْبَسْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٣٥) أي : يحل
عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعد أبداً .
وفي معنى الحديث السابق قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - :

فيينا همو في عيشهم وسرورهم	وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
ذا هم بنور ساطع أشرق له	بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة	فيضحك فوق ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم	بآذانهم تسليهم إذ يسلم
يقول سلوني ما اشتهيت فكل ما	تريدون عندي أنني أنا أرحم
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا	فأنت الذي تولي الجميل وترحم
فيعطيههم هذا ويشهد جميعهم	عليه تعالى الله فالله أكرم (٢٣٦)

عن ابن عباس عن جويرية أن النبي ﷺ - خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح - وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم . قال النبي ﷺ - : ﴿ لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ﴾ (٢٣٧) .

فقوله : ﴿ ورضا نفسه ﴾ يتضمن أمرين عظيمين : أحدهما : أن يكون المراد تسبيحاً هو والعظمة والجلال سيان .

والثاني : ولرضا نفسه .

فهو في الأول : مخبر عن تسبيح مساوٍ لعدد خلقه ، والثاني مثبت لرضا نفس الرب لا نهاية له في العظمة والوصف .

فالتسبيح ثناء عليه يتضمن التعظيم والتتزيه .

فإذا كانت أوصاف كماله ونعوت جلاله لا نهاية لها ولا غاية ، بل هي أعظم من ذلك وأجل ؛ كان الثناء عليه بها كذلك ، إذ هو تابع لها إخباراً وإنشاءً ، وهذا معنى الأول من غير عكس .

وإذا كان إحسانه - سبحانه - وثوابه وبركته وخيره لا منتهى له ، وهو من موجبات رضاه وثمرته فكيف بصفة الرضا ؟ .

وقد ذكر في الأثر : ﴿ إذا باركت لم يكن لبركتي منتهى ﴾ فكيف بالصفة التي صدرت عنها البركة ، وهي الرضا ؟ .

﴿ والرضا يستلزم المحبة والإحسان والجود والبر والعفو والصفح والمغفرة ، والخلق يستلزم العلم والقدرة والإرادة والحياة والحكمة ، وكل ذلك داخل في رضا نفسه ، وصفة خلقه ﴾ (٢٣٨) .

وهذا الحديث متضمن لثلاثة أصول :

الأول : إثبات صفات الكمال لله - سبحانه - ومنها صفة الرضا ، والثناء عليه بها .

الثاني : محبته والرضا به .

الثالث : اجتماع الحمد والتنزيه على أكمل الوجوه ، وأعظمها قدراً ، وأكثرها عدداً ، وأجزؤها وصفاً ، وهذه مزية وفضل عظيمين .
قبول الرضا :

إن العمل اليسير المرافق لمرضاة الله وسنة المصطفى - ﷺ - خير وأحب إلى الله من العمل الكثير إذا خلا عن ذلك ، أو عن بعضه .

يوضح ذلك آيات كثيرة ، منها : قول الله - تعالى - : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٢٣٩) ، وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢٤٠) ، وقوله - عز وجل - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢٤١) .

فالله - سبحانه وتعالى - خلق السموات والأرض والموت والحياة وزين الأرض بما فيها وما عليها ليلو العباد أيهم أحسن عملاً لا أكثر عملاً .

وحسن العمل هو : خلاصه وصوابه ، وموافقته لمرضاة الله - تعالى - ومحبته ، وليس الأكثر الخالي من ذلك كله أو بعضه ، والتعبد لله بالأرضى له وإن كان قليلاً أرضى له من الأكثر الذي لا يرضيه ، فقد يتفق العمالان في الصورة ، وبينهما تفاضل كبير وعظيم ، قد يصل مثل ما بين السماء والأرض .

وهذا الفضل يكون بحسب رضا الله - سبحانه وتعالى - بالعمل وقبوله ومحبته وفرحه به كما قال - ﷺ - : ﴿ لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها ﴾ (٢٤٢) .

قال البيهقي في شرح الحديث : ﴿ قوله : أفرح : معناه الله أرضى بالتوبة وأقبل لها ، والفرح قد يكون بمعنى الرضا ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٢٤٣) أي : راضون ﴾ (٢٤٤) .

ولهذا كان قبول العمل بحسب رضا الرب - سبحانه وتعالى - به ، فقد يتصدق اثنان أحدهما بكثير أو مرات متعددة ، والآخر بقليل ، أو مرة ، حسب استطاعته وغناه ، ولكن

صدقة هذا تفضل على صدقة الأول بكثير ، وذلك بحسب محبة الله ، وقبوله لها ، ورضاه قبل هذه وهذه .

فقبول الرضا والمحبة والاعتداد والمباهاة شيء ، وقبول الثواب والجزاء شيء ؛ لأن القبول أنواع :

النوع الأول :

قبول رضا ، ومحبة ، واعتداد ، ومباهاة ، وثناء على العامل بين الملاء الأعلى ، كما تقدم في حديث ثوبان عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ إِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمِسَ مَرْضَاةَ اللَّهِ - عَزَّوَجَلَّ - فلا يزال كذلك ، فيقول : يا جبريل إن عبيد فلاناً يَلْتَمِسُ أَنْ يَرْضِيَنِي بِرِضَائِي عَلَيْهِ ، قال : فيقول جبريل - ﷺ - رحمة الله على فلان ، وتقول حملة العرش ، ويقول الذين يلونهم ، حتى يقول أهل السموات السبع ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٢٤٥) ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمِسَ سَخَطَ اللَّهِ ، فيقول الله - عَزَّوَجَلَّ - يا جبريل إن فلاناً يستسخطني ، ألا وإن غضبي عليه ، فيقول جبريل : غضب الله على فلان ، وتقول حملة العرش ، ويقول من دونهم ، حتى يقوله أهل السموات السبع ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (٢٤٦) .

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخاري ومسلم (٢٤٧) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحْبُوهُ ، فيحبه جبريل ، ثُمَّ ينادي في السماء ، فيقول : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبُوهُ ، فيحبه أهل السماء ، قال : ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فيقول : إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضْهُ ، قال : فيبغضه جبريل ، ثُمَّ ينادي في أهل السماء : إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ، قال : فيبغضونه ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبِغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وعن عمرو بن مالك الرواسي (٢٤٨) قال : أتيت النبي - ﷺ - فقلت : يا رسول الله - ﷺ - ارض عني قال : فأعرض عني ثلاثاً ، قال : قلت : يا رسول الله ، إن الرب ليَرْضَى فيَرْضَى ، قال : فَرْضَى عني (٢٤٩) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ يقول الله - تعالى - أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾ (٢٥٠) .

وعنه أيضاً قال : قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ﴾ (٢٥١) .

وكل هذا من أثر رضا الله عن العبد ، وقبوله له قبول رضا ومحبة واعتداد ومباهاة .

ومن المباهاة بالمؤمنين ما رواه أبو سعيد الخدري قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ، قال : آله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ ، قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلة من رسول الله - ﷺ - أقل عنه حديثاً مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : ﴿ ما أجلسكم ؟ ﴾ ، قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومن به علينا ، قال : ﴿ آله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ ﴾ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : ﴿ أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله - عز وجل - يباهي بكم الملائكة ﴾ (٢٥٢) .

النوع الثاني :

قبول جزاء وثواب ، وإن لم يقع موقع الأول ، ولعل مما يوضح ذلك قوله - سبحانه - : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَيْنَا رَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٥٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ﴿ أَي جَزَاءَ عَلَى إِحْسَانِهِ فِي الْعَمَلِ وَقِيَامِهِ بِأَمْرِنَا وَطَاعَتِنَا ، كَقَوْلِهِ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٢٥٤) ... وَقَالَ قَتَادَةُ : مَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا نَعِمَ لَهُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ﴾ (٢٥٥) .

ويوضحه قول الله - تعالى - : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٥٦) فمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح فله الحسن في الآخرة ، كقوله - تعالى - : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ أمّا قوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ فهذا تضعيف لمن استحق ذلك ، فيضاعف له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، ويشمل ذلك ما يعطيه الله المؤمنين في الجنان ، من القصور ، والخور ، والرضا ، وما أخفاه الله لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلك كله أعلاه النظر إلى وجهه الكريم (٢٥٧) .

أمّا النوع الثالث :

﴿ فقبول إسقاط للعقاب فقط ، وإن لم يترتب عليه ثواب وجزاء ، كقبول صلاة من لم يحضر قلبه في شيء منها ؛ فإنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها ﴾ (٢٥٨) .

فإذا صلى بالصفة السابقة سقط عنه الفرض ، لكنه لا يثاب عليها ، ومثل ذلك صلاة العبد الآبق ، وصلاة من أتى العراف فصدقه فيما يقول ، فقد قال بعض العلماء : إن صلاة هؤلاء لا تقبل ومع هذا لا يؤمرون بالإعادة (٢٥٩) .

أمّا من غلط فأول الصفات ، أو عطّلها ، ومنها صفة الرضا ، فيرون أن الأعمال متساوية ، والجزاء والثواب عليها واحد ، ولا أثر لرضا الله - سبحانه وتعالى - فيها . وهذا دليل على عدم الفقه في أسماء الله - تعالى - وصفاته ، فإنه يتبع ذلك عدم الفقه في شرع الله وأمره ، فلا فقه لهم في أعمال القلوب ، وحقائق الإيمان بالله - تعالى - وبأسمائه وصفاته .

المبحث التاسع : من أسباب حصول الرضا

جعل الله - سبحانه - في مقابلة أسباب عصيانه وسخطه وغضبه أسباباً يحبها ، ويرضاها ، ويفرح بها أكمل فرح ؛ وهذا استعاض النبي ﷺ - بصفة الرضا من صفة

السخط ، وما يستعاذ به صادر عن مشيئة الله وإرادته وقضائه ، وأذن في وقوع الأسباب ، فمنه السبب والمسبب .

فإذا أغضبت - سبحانه - معاصي الخلق ، وكفرهم ، وشركهم ، وظلمهم ، أرضاه تسبيح ملائكته ، وعبادة المؤمنين له ، وحمدهم إياه ، وطاعتهم له ، فيعبد رضاه من غضبه (٢٦٠) .

وهذه بعض تلك الأسباب على سبيل الاختصار :

١ - الحمد :

فمن أنس مرفوعاً : ﴿ إِنْ أَلَّهِ لِيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فِيحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فِيحْمَدُهُ عَلَيْهَا ﴾ (٢٦١) .

والحمد مكمل الرضا ، ومنزله عظيمة ، وهو علامة رضى الله على عباده ، وإنعامه عليهم .

الحمد الذي افتتح الله به كتابه الكريم ، وخلقه واختتمه .

فله الحمد في الأولى والآخرة ، أي : في جميع ما خلق ، وما هو خالق ، هو المحمود في ذلك كله (٢٦٢) .

قال علي - رضى الله عنه - : ﴿ الْحَمْدُ كَلِمَةُ أَحَبَّهَا اللَّهُ وَرَضِيهَا ، وَأَحَبُّ أَنْ تَقَالَ ﴾ (٢٦٣) ، وفي الحديث : ﴿ أَنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَلْهُمُونَهَا مَعَ التَّسْبِيحِ كَمَا يَلْهُمُونَ النَّفْسَ ﴾ (٢٦٤) .

٢ - الشكر :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٢٦٥) ، فعلق الرضا بشكرهم ، وجعله مجزوماً جزاء له ، وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده ، فالشكر سبب الحصول على رضا الله ، والرضا جزاء الشكر (٢٦٦) .

٣ - الشوق إلى لقاء الله :

الشوق إلى لقاء الله بالشوق إلى المبادرة إلى طاعته - سبحانه - ، وإن كان ذلك يؤدي إلى الشهادة في سبيله ، وكم يكون الشوق حادياً للحصول على الرضا ، وسمة ذلك

كما قال الشاعر :

وأخرج من يمين البيوت لعلني أحدث عنك القلب بالسر خالياً^(٢٦٧)
فالشوق يحمل الحب على العجلة في رضا المحبوب ، والمبادرة إليه على الفور ، ولو كان فيها تلفه كما حصل من نبي الله موسى - عليه السلام - فيما حكاه الله عنه في القرآن الكريم : ﴿ وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرِكُ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾^(٢٦٨) ، وقال بعض المفسرين للآية : ﴿ أراد شوقاً إليك فسره بلفظ الرضا ﴾^(٢٦٩) .

٤ - المبادرة إلى طاعات الله وإن اكتنفها مشقة وخوف أو نحو ذلك :

فأهل بيعة الرضوان الذين بادروا وتسبقوا في نصرة النبي - ﷺ - ونصرة دينه ، والإخلاص في ذلك ، قال الله - تعالى - فيهم : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾^(٢٧٠) ، وفي الحديث : ﴿ لا بدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ﴾^(٢٧١) .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : ﴿ ... لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾^(٢٧٢) ، وهذا كناية عن كمال الرضا ، وصلاح الحال ، وتوفيقهم للخير لا للتخص في كل فعل^(٢٧٣) .

والأسباب كثيرة ، وبعضها أفضل من بعض ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك ، ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٢٧٤) ، وما ذكرناه نماذج فقط ، وبعضاً من الأسباب المتعددة ، التي من حققها حصل على رضوان الله .

وأما الغضب مع الرضا والبغض مع الحب فهو أكمل ممن لا يكون منه إلا الرضا ، والحب دون البغض والغضب للأمور المذمومة التي تستحق أن تدم وتبغض^(٢٧٥) .

الخاتمة :

هذا ما تيسر جمعه وكتابته في هذا الموضوع المهم ، وبهذا الأسلوب الواضح الجلي السهل ، وقد قصدتُ بذلك أن يكون منهجاً لكل مسلم في الإيمان بكل اسم لله تعالى أو صفة من صفاته سبحانه .

فالإيمان بها هو الإيمان بأن الله أسماء وصفات سمى نفسه ووصفها بهذه الأسماء والصفات إيماناً يتمثل في تعظيمه - سبحانه - وتقديسه والتعبد بها والعمل بمقتضاها . وهذه هي النتيجة الأولى والمهمة من نتائج هذا البحث ، ولأفنهك نتائج مهمة مكمله لهذه ، منها :

- ١ - إن من أعظم ، بل أعظم العلوم : معرفة الله بأسمائه وصفاته - سبحانه - .
- ٢ - حاصل تعريف الرضا في اللغة والشرع : إثبات صفة الرضا لله - تعالى - ، من غير تكليف ولا تمثيل ، معلوم معناها حق على حقيقتها ، كأى صفة من صفات الله - تعالى - .
- ٣ - أن العقل الصحيح الصريح يعلم أن نصوص كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - وكلام سلف الأمة : دلت على ثبوت صفة الرضا لله - تعالى - ، فلا يعطل من صفته اللاتقية به ، ولا تعطل النصوص ممّا دلت عليه من الكمال لله - تعالى - ، وهذا هو الحق الذي عليه سلف الأمة ، وأئمتها ، ومن تبعهم بإحسان .
- ٤ - أن الطريق الصحيح لمعرفة الله بأسمائه وصفاته واحد لا يتعدد ؛ هو كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - ، فليس للعقل أن ينكر ذلك أو يدعى ما يخالف الوحي في إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو نفاه عنها ، وإلا فهو ضال ، بعيد عن الحق ، وفهمه ، والالتزام به .
- ٥ - أن من تأول صفة الرضا ، أو قال بأنها مخلوقة ، أو نفاه عنها - سبحانه - ، وجعلها إمّا مجازاً أو صفة لبعض مخلوقاته ، فقد ضل عن الصواب ، وتبرأ منه أهل الإثبات ؛ أهل السنة والجماعة ، بل وردوه عليه بالسمع ، والعقل ، الموافقان للغة ، والفطرة السليمة .
- ٦ - إذا لم يكن للإيمان بصفات الله - عزّ وجل - ومنها صفة الرضا - أثر على حياة المسلم وعمله فإنه لم يحقق التوحيد على الحقيقة ؛ لأن العلم بالصفات دون العمل بمقتضاها ،

ليس هو الإيمان المطلوب ، بل لابد مع العلم من العمل بما أخبر الله به عن نفسه ، والعمل بما يدل عليه ذلك الخبر .

٧ - فعل الأسباب المأمور بها يحقق للمؤمن رضى الله - تعالى - في الدنيا ، والآخرة .
كما قال الله - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٧٦) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين .

• • •

الحواشي والتعليقات

- (١) سورة المؤمنون : الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .
- (٢) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .
- (٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٢ .
- (٤) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .
- (٥) سورة النور : الآيتان ٥١ ، ٥٢ .
- (٦) آخر سورة الفتح : الآية ٢٩ .
- (٧) سورة النساء : الآية ١٤ .
- (٨) سورة الأحزاب : من الآية ٣٦ .
- (٩) سورة طه : الآيات ١٢٤ - ١٢٦ .
- (١٠) سورة ص : من الآية ٢٦ .
- (١١) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .
- (١٢) سورة الأنعام : من الآية ١٥٣ .
- (١٣) حديث صحيح أخرجه الطيالسي برقم ٢٤٤ ، وأحمد في المسند ٤٣٥/١ ، والحاكم ٣١٨/٢ ، وقال : ﴿ حديث صحيح الإسناد ﴾ ووافقه الذهبي ، والبخاري في كشف الاستار رقم ٢٢١٢ ، والدارمي في المقدمة ، باب : كراهية أخذ الرأي .
- (١٤) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٧/٤ ، وابن ماجه في كتاب الحدود ، باب من عمل عمل قوم لوط ٨٥٦/٢ ، والترمذي في كتاب الفتن ، باب ٥٠ ، والدارمي في المقدمة ، باب كراهية أخذ الرأي ، وباب إن الله كره لكم قيل وقال ، وابن حبان في صحيحه ٤٣١/١٠ ، ١١٠/١٥ ، والإمام أحمد في المسند ١٢٣/٤ ، ٢٧٨/٥ ، ٢٨٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢١/٧ : ﴿ ورجال أحمد رجال الصحيح ﴾ .
- (١٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٢٠/٤ ، ٤٢٣ ، والطبراني في المعجم الصغير ٣٠٩/١ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٨/١ : ﴿ رواه أحمد والبخاري في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح ﴾ ، وقال في ٣٠٦/٧ : ﴿ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ﴾ ، وانظر : الترغيب والترهيب للمنذري ١٠١/٣ .

(١٦) أتباع جهنم بن صفوان : يتفون الصفات ويقولون بالإرجاء وبالجزر ، وفناء الجنة والنار ، وخالفوا السلف في كثير من مسائل الاعتقاد . انظر : الفرق بين الفرق ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، والبداية والنهاية ٢٦/١٠ - ٢٧ ، والملل والنحل للشهرستاني ١٠٩/١ - ١١٢ .

(١٧) خلق أفعال العباد ٣٨/١ ، والآية في سورة طه : الآية ٥ .

(١٨) هو : الكاتب المتكلم ، أس الضلالة ، صاحب الذكاء والجدال ، المنكر للصفات ، القائل بخلق القرآن ، وأن الله في كل مكان ، والإيمان بالقلب وإن نطق بالكفر ، رأس الجهمية : الجهم بن صفوان ، أبو محرز الراسي مولاهم السمرقندي ، قيل : إن مسلم بن أحوز قتله لإنكاره أن الله كلم موسى عليه السلام . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٦/٦ - ٢٧ ، وميزان الاعتدال ٤٢٦/١ ، والملل والنحل ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

(١٩) انظر : العقيدة الأصفهانية ١٦٧/٢ .

(٢٠) سورة التوبة : من الآية ١٠٠ .

(٢١) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٢٢) سورة التوبة : الآية ٧٢ .

(٢٣) سورة النساء : الآيتان ١١٤ ، ١١٥ .

(٢٤) انظر : لسان العرب ٣٢٣/١٤ - ٣٢٤ ، ٣١٢/٧ - ٣١٣ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ .

(٢٥) انظر : النهاية للجزري ٢٣٢/٢ ، باب الرأ مع الضاد ، ولسان العرب ٣٢٣/١٤ .

(٢٦) انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ ، والمصباح المنير ٢٧٢/١ .

(٢٧) انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ .

(٢٨) سورة البينة : من الآية ٨ .

(٢٩) انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ .

(٣٠) انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ .

(٣١) انظر : المصباح المنير ٢٧٢/١ ، ولسان العرب ٣٢٤/١٤ .

(٣٢) انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ .

(٣٣) سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، والتوبة ١٠٠ ، والمجادلة ٢٢ ، والبيينة ٨ .

(٣٤) سورة الفتح : من الآية ١٨ .

(٣٥) سورة طه : من الآية ١٠٩ .

(٣٦) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٣٧) سورة النور : من الآية ٥٥ .

(٣٨) سورة الأنبياء : من الآية ٢٨ .

- (٣٩) سورة طه : من الآية ٨٤ .
- (٤٠) سورة الزمر : من الآية ٧ .
- (٤١) سورة النمل : من الآية ١٩ ، والأحقاف : ١٥ .
- (٤٢) سورة النساء : من الآية ١٠٨ .
- (٤٣) سورة التوبة : من الآية ٩٦ .
- (٤٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ... باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٢٠٩٥/٤ ، والنسائي في السنن الكبرى ٢٠٢/٤ ، في كتاب الدعاء بعد الأكل ، وباب ثواب الحمد لله .
- (٤٥) سورة النساء : من الآية ١١٤ .
- (٤٦) سورة البقرة : من الآية ٢٠٧ .
- (٤٧) سورة الممتحنة : من الآية ١ .
- (٤٨) سورة الفتح : من الآية ٢٩ ، وسورة الحشر : من الآية ٨ .
- (٤٩) سورة التوبة : من الآية ٧٢ .
- (٥٠) مضيق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ٤٨٧/١٢ ، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها ، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً ٢١٧٦/٤ ، وأخرجه البخاري بنحوه في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .
- (٥١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١ ، ومالك في الموطأ في كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء ، وابن خزيمة في صحيحه ٣٣٥/١ ، في كتاب الصلاة ، باب نصب القدمين في السجود ، وباب الدعاء في السجود ، وابن حبان في صحيحه ٢٥٩/٥ ، وغيرهم .
- (٥٢) تفسير الطبري ١٦٢/٦ .
- (٥٣) الاستقامة ١٣٧ .
- (٥٤) ذم التأويل لابن قدامة ص ١٨ .
- (٥٥) التدمرية لابن تيمية ، تحقيق السعوي ص ٧ .
- (٥٦) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .
- (٥٧) سورة فصلت : الآية ٤٠ .
- (٥٨) سورة الشورى : من الآية ١١ .
- (٥٩) انظر : التدمرية بتحقيق السعوي ص ٧ - ٨ .
- (٦٠) العرض : ما لا يقوم إلا بغيره ، مثل الألوان : السواد والبياض ونحو ذلك . انظر : التعريفات للجرجاني ١٩٣/٢ ، والتعاريف للمناوي ٥١٠/٢ .

(٦١) الجسم : ما يقوم بنفسه كالحجر والجدار ونحو ذلك . انظر : الصحاح مادة (جسم) ، ولسان العرب ٩٩/١٢ .

(٦٢) الجوهر : هو ما يقوم بنفسه كالحائط ونحوه إلا أن الجسم أعم من الجوهر . انظر : لسان العرب ١٥٢/٤ ، والتعاريف للمناوي ٦٦٨/٢ ، والتعريفات للجرجاني ١٠٨/٢ .

(٦٣) سورة الشورى : من الآية ١١ .

(٦٤) مثل : فلان لا يكتب ، ومثل قول الشاعر :

قبيلة لا يفسدون بدمه ولا يظلمون الناس حبة خردل

[انظر : شرح الطحاوية ص ٦٩] .

(٦٥) سورة الكهف : من الآية ٤٩ .

(٦٦) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥ .

(٦٧) التدمرية ص ٤٣ .

(٦٨) تفسير ابن كثير ٦/١ .

(٦٩) هي : أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، اسمها هند وقيل : رمكة ، وأبوها حذيفة ، وقيل : سهيل . وأما عاتكة بنت عامر الكنانية من بني فراس ، وأم سلمة كانت من المهاجرين إلى الحبشة هي وزوجها قبل الرسول ﷺ توفيت في خلافة يزيد بن معاوية . انظر : الإصابة ٢٢١/٨ - ٢٢٤ ، والاستيعاب ١٩٣٩/٨ .

(٧٠) سورة طه : الآية ٥ .

(٧١) ذم التأويل لابن قدامة ص ٢٥ ، وفتح الباري ٤٠٦/١٣ ، واعتقاد أهل السنة للالكائي ٣٩٧/٣ .

(٧٢) هو : مفقي المدينة في وقته ، وعالم الوقت ، من أئمة الاجتهاد ، ومن رواة الحديث ، وأحد الحفاظ، شيخ الإمام مالك اسمه : ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي بالولاء المشهور بريعة الرأي ، روى عن أنس بن مالك وعن التابعين ، قال عنه مالك : ﴿ كان ربيعة أعجل شيء جواباً ﴾ وقال ابن الماجشون : ﴿ والله ما رأيت أحوط لسنة من ربيعة ﴾ ، مات ربيعة بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٨٩/٦ - ٩٦ ، وتاريخ بغداد ٤٢٠/٨ .

(٧٣) ذم التأويل لابن قدامة ص ٢٥ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٩٠/٦ ، وإثبات صفة العلو لابن قدامة ١١٤/٢ .

(٧٤) حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس بن مالك المشهور ، امتحن وضرب بالسياط ، ألف كثير من الناس في مناقب مالك ، وهو صاحب الموطأ ، وله رسالة في القدر ، وله غير ذلك من الكتب ، توفي سنة ٧٩ هـ رحمه الله ورضي عنه . انظر : سير أعلام النبلاء ٤٨/٨ - ١٣٥ ، البداية والنهاية ١٧٤/١٠ - ١٧٥ ، وغيرهما .

(٧٥) ذم التأويل لابن قدامة ص ١٣ ، وانظر : اعتقاد أهل السنة للالكاتب ٣/٣٩٨ ، والاعتقاد للبيهقي ١١٦/٢ .

(٧٦) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن .. ٢٨٨/١ ، والنسائي في السنن الكبرى ٥١١/١ ، ٢٠٣/٦ ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب مجاء في الدعاء بين الأذان والإقامة ١٤٥/١ ، وصححه الألباني ، وأخرجه الترمذي في باب الدعاء عند الأذان ٢٧/٢ ، وقال الألباني : ﴿ صحيح ﴾ .

(٧٧) العلامة القنوة ، المفسر ، المذكر ، المحدث ، سيف السنة ، ودامغ البدعة ، الزاهد ، أبو عثمان إسماعيل ابن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري الصابوني ، المولود سنة ٣٧٢ هـ ، والمتوفى سنة ٤٤٩ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤٠/١٨ - ٤٤ ، والنجوم الزاهرة ٦٢/٥ .

(٧٨) الرسالة في اعتقاد أهل السنة ص ٣ - ٤ .

(٧٩) مجموع الفتاوى ٥١٨/٦ .

(٨٠) مجموع الفتاوى ١٧٣/١٢ .

(٨١) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٨٢) سورة المائدة : من الآية ١١٩ .

(٨٣) سورة التوبة : من الآية ١٠٠ .

(٨٤) سورة طه : الآية ١٠٩ .

(٨٥) سورة الفتح : الآية ١٨ .

(٨٦) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٨٧) سورة طه : الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

(٨٨) سورة النمل : الآية ١٩ .

(٨٩) سورة الأحقاف : من الآية ١٥ .

(٩٠) سورة النساء : الآية ١٠٨ .

(٩١) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٩٢) سورة التوبة : الآية ٩٦ .

(٩٣) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٩٤) سورة آل عمران : الآية ١٥ .

(٩٥) سورة التوبة : الآية ٧٢ .

(٩٦) سورة الحشر : الآية ٨ .

(٩٧) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

- (٩٨) سورة النساء : الآية ١١٤ .
- (٩٩) سبق في ص ١٧١ .
- (١٠٠) سبق في ص ١٧١ .
- (١٠١) سبق في ص ١٧١ .
- (١٠٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ماجاء في الصبر على البلاء ٦٠١/٤ وقال : ﴿ حسن غريب من هذا الوجه ﴾ ، وابن ماجة في الفتن ، باب الصبر على البلاء ١٣٣٨/٢ ، وقال الألباني : ﴿ حسن ﴾ ، وأخرجه القضاعي في مسند الشهابي ١٧٠/٢ .
- (١٠٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ...
- (١٠٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه في ذكر رجاء المرء من رضوان الله ... ٥١٤/١ ، والحاكم في المستدرک من عدة طرق ١٠٧/١ ، والترمذي في الزهد ، باب في قلة الكلام ، وقال : ﴿ حسن صحيح ﴾ ٥٥٩/٤ ، وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة ، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ ، كتاب الكلام ، باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام ٩٨٥/٢ .
- (١٠٥) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٤٠ ، وتفسير السيوطي ٣٧٠/١ .
- (١٠٦) سورة المطففين : الآية ١٥ .
- (١٠٧) اعتقاد أهل السنة للإلكائي ٥٠٦/٣ ، والاعتقاد للبيهقي ١٣١/٢ ، وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٤٢/١٣ .
- (١٠٨) سورة طه : من الآية ٨١ .
- (١٠٩) العقيدة للإمام أحمد برواية الخلال ١٠٩/٢ .
- (١١٠) سورة النحل : الآية ٧٤ .
- (١١١) سورة النحل : الآية ٦٠ .
- (١١٢) سورة الروم : الآية ٢٧ .
- (١١٣) انظر : التدمرية ص ٥٠ .
- (١١٤) سورة فصلت : من الآية ٤٠ .
- (١١٥) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .
- (١١٦) انظر : التدمرية ص ٧٠ .
- (١١٧) ذم التأويل ص ٢٣ .
- (١١٨) انظر : جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٥٢/١٧ .
- (١١٩) انظر : المراجع السابق نفس الموضع .
- (١٢٠) انظر : الوابل الصيب لابن القيم ٤٦/١ .

- (١٢١) سورة الشورى : من الآية ١١ .
 (١٢٢) انظر : رفع الاستار للصنعاني ١٤٢/٢ .
 (١٢٣) انظر : المصدر السابق نفس الموضع .
 (١٢٤) سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، وسورة التوبة : من الآية ١٠٠ ، وسورة البينة : من الآية ٨ .
 (١٢٥) انظر : رسالة في الصفات الاختيارية ضمن مجموع الفتاوى ٢١٧/٦ .
 (١٢٦) انظر : شرح السيوطي ١٠٤/١ .
 (١٢٧) سورة الفتح : من الآية ١٨ .
 (١٢٨) انظر : كتاب الإيمان الكبير ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٤٤/٧ .
 (١٢٩) الاستقامة ٢١٥/١ .

(١٣٠) وصفه - تعالى - بالسكوت ورد في السنة والأثر ، فمن ذلك حديث أبي الدرداء يرفعه : ﴿ ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته ؛ فإن الله لم يكن نسياً ، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : ٦٤] أخرجه البزار في كشف الأستار ، وقال : ﴿ إسناده صالح ﴾ ، والحاكم في المستدرک ٣٧٥/٢ ، وقال : ﴿ صحيح الإسناد ﴾ ، وأقره الذهبي ، وأخرجه البيهقي في الكبرى ١٢/١٠ ، والدارقطني في المعجم الكبير ٢٥٠/٦ ، ٢٦١ .

وله شاهد عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : ﴿ كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ، ويتركون أشياء تقدراً ، فبعث الله - تعالى - نبيه - ﷺ - وأنزل كتابه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، وتلا : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ إلى آخر الآية . أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة ، باب ما لم يذكر تحريمه رقم ٣٨٠٠ ، والحاكم في المستدرک ١١٥/٤ وصححه ، ووافقه الذهبي على ذلك ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ ثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت ﴾ [مجموع الفتاوى ١٧٩/٦] .

- (١٣١) سورة الزمر : الآية ٧ .
 (١٣٢) سورة المائدة : من الآية ٣ .
 (١٣٣) سورة طه : الآية ٨٤ .
 (١٣٤) سورة البينة : من الآية ٨ .
 (١٣٥) سورة التوبة : الآية ٩٦ .
 (١٣٦) النهاية ٢٣٢/٢ . وانظر : تحفة الأحوذى ٩/١٠ .
 (١٣٧) انظر : جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية ١٥٢/١٧ .

- (١٣٨) سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، وسورة التوبة : من الآية ١٠٠ ، وسورة البينة : من الآية ٨ .
- (١٣٩) سورة الفتح : من الآية ١٨ .
- (١٤٠) سورة المائدة : من الآية ١١٩ .
- (١٤١) سورة المائدة : من الآية ٣ .
- (١٤٢) انظر : جواب أهل العلم والإيمان ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥٢/١٧ .
- (١٤٣) قال ذلك الفخر الرازي - عفا الله عنه - . شرح قصيدة ابن القيم ٢٠٨/١ ، ووفيات الأعيان ٢٥٠/٤ ، وشرح الطحاوية ص ٢٤٤ .
- (١٤٤) سورة طه : الآية ٥ .
- (١٤٥) سورة فاطر : من الآية ١٠ .
- (١٤٦) سورة الشورى : من الآية ١١ .
- (١٤٧) سورة طه : من الآية ١١٠ .
- (١٤٨) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٢ ، شرح قصيدة ابن القيم ٢٠٨/١ .
- (١٤٩) قال ذلك الشهرستاني محمد بن عبد الكريم . شرح الطحاوية ص ٢٤٤ .
- (١٥٠) أعلم المتأخرين ، جامع طرق المذاهب ، الإمام الكبير شيخ الشافعية ، إمام الحرمين ، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ابن عبد الله ... الجويني ، ثم النيسابوري ، ولد سنة ٤١٩ هـ ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤٦٨/٨ - ٤٧٦ ، والأعلام ١٦٠/٤ ، وطبقات الشافعية ٢٤٩/٣ - ٢٥٣ .
- (١٥١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٥ .
- (١٥٢) المعتزلة : إحدى الفرق المنتسبة إلى أهل القبلة ، سموا بذلك لاعتزالهم المسلمين أو لاعتزالهم مجلس الحق ، فقد اعتزل رئيسهم مجلس الحسن البصري فسمّاهم الحسن معتزلة ، وقد أجمعت على نفي الصفات والقول بخلق القرآن ، وأن العبد يخلق فعله ، وأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، ونفوا الشفاعة ويرون الخروج على الأئمة . انظر : البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي ص ٣٦ - ٣٧ ، والفرق بين الفرق ص ١١٤ - ١١٧ .
- (١٥٣) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٢٦٦ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٩/١٧ .
- (١٥٤) انظر : جواب أهل العلم لابن تيمية ضمن الفتاوى ١٤٩/١٧ .
- (١٥٥) انظر : السابق ٣٢٩/٦ .
- (١٥٦) جامع علم الإمام أحمد ، المفسر ، العالم بالحديث ، الحافظ الفقيه ، شيخ الحنابلة وعالمهم ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال ، تتلمذ على المروزي وغيره من كبار العلماء ، ورحل إلى

فارس والشام والجزيرة يطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته ، توفي سنة ٣١١ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٤ - ٢٩٨ ، وتاريخ بغداد ١١٢/٥ - ١١٣ ، والبداية والنهاية ١٤٨/١١ . (١٥٧) انظر : العقيدة للإمام أحمد برواية الخلال ١٠٩/٢ .

(١٥٨) هم : أتباع أبو محمد عبد الله بن سعد بن كلاب القطان ، وهم من أقرب المتكلمين إلى السنة ، من أقوالهم : إن أسماء الباري لا الباري ولا غيره ، والوصف لله بأنه كريم ليس صفات الفعل ، والكلام من صفات النفس . انظر : سير أعلام النبلاء ١٧٤/٩ - ١٧٦ ، ومقاولات الإسلاميين ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٥١٧ .

(١٥٩) هم : أتباع أبي الحسن بن سالم القائلين بأن صفات الأفعال بغير المشيئة والإرادة ، وأن القرآن حروف وأصوات قديمة ، ويوافقون أهل السنة في أكثر مسائل الاعتقاد فهم من أقرب الطوائف إلى أهل السنة . انظر : النبوات لابن تيمية ١٤٣/٢ ، وشرح قصيدة ابن القيم ٢٧٩/١ ، ٢٨٨ .

(١٦٠) انظر : رسالة في الصفات ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٧/٦ .

(١٦١) انظر : السابق ٢٢٠/٦ .

(١٦٢) أوجد زمانه في المعقول وعلوم الأوائل ، إمام التفسير ، المتكلم ، أحد فقهاء الشافعية ، والمشهور بالتصانيف الكبار والصغار ، المعظم عند الملوك ، أبو المعالي وأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التميمي البكري المشهور بالفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . انظر : البداية والنهاية ١٣/٥٥ - ٥٦ ، والأعلام ٣١٣/٦ .

(١٦٣) صاحب المصنفات في الأصولين ، الحنبلي ثم الشافعي ، الأصولي المنطقي الجدلي ، صاحب الأخلاق ، سليم الصدر أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد بن سالم التعلبي الآمدي ثم الحموي ثم الدمشقي ، المتوفى سنة ٦٣١ هـ . انظر : البداية والنهاية ١٣/١٤٠ - ١٤١ ، وطبقات الشافعية ٥/٢٩٩ ، والأعلام ٣٣٢/٤ .

(١٦٤) انظر : رسالة في الصفات لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٢٢١/٦ .

(١٦٥) انظر : جواب أهل العلم ضمن فتاوى ابن تيمية ١٤٩/١٧ .

(١٦٦) انظر : تفسير القرطبي ٢٣٧/١٥ .

(١٦٧) انظر : رسالة في الصفات ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٣/٦ .

(١٦٨) ذكره الضياء المقدسي في المختارة ، وقال : ﴿ إسناده صحيح ﴾ ٢٧٢/٦ - ٢٧٣ ، والدارقطني في رؤية الله ٨٠/١ ، ٨١ ، والآجري في التصديق بالنظر ٦٧/١ وقال : ﴿ حديث صحيح ﴾ ، والهيثمي في مسند الحارث ٣٠١/١ ، وفي مجمع الزوائد للهيتمي ٤٢١/١٠ - ٤٢٢ وقال : ﴿ رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه وأبو يعلى باختصار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد ،

- وضعه غيرهم وإسناد البزار فيه خلاف ﴿ اهـ . وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال :
﴿ رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد ... ﴾ .
- (١٦٩) انظر : رسالة في مسألة تأويل الصفات لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٤٤/٦ .
- (١٧٠) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/٢٢٧ - ١٢٨ .
- (١٧١) انظر : منهاج السنة ٢/١١٥ .
- (١٧٢) انظر : شرح حديث النزول ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٥١/٥ ، ومنهاج السنة ٢/١١٦ .
- (١٧٣) انظر : شرح حديث النزول ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٥٢/٥ .
- (١٧٤) انظر : رسالة في مسألة تأويل الصفات لابن تيمية ضمن الفتاوى ٤٦/٦ .
- (١٧٥) سورة المائدة : من الآية ١١٩ .
- (١٧٦) سورة الفتح : من الآية ١٨ .
- (١٧٧) سورة البينة : من الآية ٨ .
- (١٧٨) انظر : رسالة في مسألة تأويل الصفات ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٦/٦ ، والتدمرية ص ٣٢ - ٣٣ .
- (١٧٩) بيان تلبيس الجهمية ٤٣١/١ ، ١٦٤/٢ ، وذم التأويل لابن قدامة ص ٢٢ .
- (١٨٠) ذم التأويل ص ٢٣ .
- (١٨١) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/١٢ ، والديباج للسيوطي ٤/٣١٩ .
- (١٨٢) ذم التأويل لابن قدامة ص ١١ ، تحقيق : بدر البدر .
- (١٨٣) ذم التأويل ص ١٩ .
- (١٨٤) سورة محمد : من الآية ١٩ .
- (١٨٥) سورة الإخلاص : الآية ١ .
- (١٨٦) سورة الكافرون : الآية ١ .
- (١٨٧) انظر : الرسالة التدمرية ص ٥ .
- (١٨٨) ذم التأويل لابن قدامة ص ١١ .
- (١٨٩) طريق المهجرتين ٤٣١/١ .
- (١٩٠) انظر : مدارج السالكين ١/٢٥٤ .
- (١٩١) انظر : رفع الأستار للأمير الصنعاني ٢/١٤٢ .
- (١٩٢) سورة التوبة : من الآية ١٠٠ .
- (١٩٣) سورة البينة : الآيتان ٧ ، ٨ .
- (١٩٤) تفسير ابن كثير ٤/٥٣٨ .

- (١٩٥) سورة التوبة : الآية ٩٦ .
- (١٩٦) سورة محمد : من الآية ٢٨ .
- (١٩٧) سورة الفتح : من الآية ٢٩ .
- (١٩٨) تفسير ابن كثير ٢٠٤/٤ .
- (١٩٩) سورة التوبة : الآية ٧٢ .
- (٢٠٠) أخرجه البخاري في تفسير سورة الرحمن ، باب : ﴿ وَمِنْ ذُنُوبِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١٦٣/١ .
- (٢٠١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة ، باب صفة خيام الجنة وما للمؤمنين ٢١٨٢/٤ ، وأخرجه بنحوه البخاري في كتاب التفسير ، باب حور مقصورات في الخيام .
- (٢٠٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، وصحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب بيان ما أعد الله للمجاهد في الجنة من الدرجات .
- (٢٠٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٨٢/١ ، وقال : ﴿ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ﴾ ووافقه الذهبي في التلخيص ، وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢٦/٩ ، وقال ابن كثير لما أورده في تفسيره ٣٧١/٢ : ﴿ رواه الزار من حديث الثوري ، وقال الضياء المقدسي في مختاراته في كتاب صفة الجنة : (هذا عندي على شرط مسلم) ﴾ قلت : لم أجده في المختارات .
- (٢٠٤) العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص ٤١ .
- (٢٠٥) سورة يونس : الآية ٢٦ .
- (٢٠٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١٧٠/١ ، والبخاري بنحوه في باب قول الله تعالى : ﴿ وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، والدارقطني في رؤية الله ٢٦/١ .
- (٢٠٧) ذكر ذلك ابن المبارك في الزهد ص ٢٧٤ فيما روي من وصايا لقمان لابنته .
- (٢٠٨) سورة التوبة : الآيات ٢٠ - ٢٢ .
- (٢٠٩) سورة الحشر : الآية ٨ .
- (٢١٠) تفسير ابن كثير ٣٣٧/٤ .
- (٢١١) سورة طه : الآيات ٨٣ ، ٨٤ .
- (٢١٢) انظر : تفسير ابن كثير ١٦١/٣ .
- (٢١٣) سورة الحديد : الآية ٢٠ .
- (٢١٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣١٣/٤ .
- (٢١٥) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .
- (٢١٦) تفسير ابن كثير ٣٢٩/٤ .

- (٢١٧) سورة مريم : الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .
- (٢١٨) سورة طه : الآية ١٠٩ .
- (٢١٩) سورة النجم : الآية ٢٦ .
- (٢٢٠) سورة الأنبياء : من الآية ٢٨ .
- (٢٢١) انظر : شرح حديث النزول للشيخ ابن عثيمين ص ٥٧ .
- (٢٢٢) سورة النمل : الآيات ١٧ - ١٩ .
- (٢٢٣) تفسير ابن كثير ٣/٣٦٠ .
- (٢٢٤) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .
- (٢٢٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/٢٤٨ .
- (٢٢٦) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٧٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٠٢ : ﴿ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة﴾ ، وقال ابن حجر في الفتح ١٠/٤٦٢ : ﴿ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقائق فيه : ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ الحديث . وانظر : تحفة الأحوذى للمبار كفوري ٨/٤٨٣ .
- (٢٢٧) سورة آل عمران : الآية ١٦٢ .
- (٢٢٨) تفسير ابن كثير ١/٤٢٥ ، وانظر : تفسير الطبري ٤/١٦١ .
- (٢٢٩) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .
- (٢٣٠) سورة النساء : الآية ١١٤ .
- (٢٣١) سورة المائدة : الآية ٢ .
- (٢٣٢) تفسير ابن كثير ٣/٥ .
- (٢٣٣) السابق ٣/٥ .
- (٢٣٤) ذكره الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٦/٢٧٢ - ٢٧٣ ، وقال : ﴿إسناده صحيح﴾ ، وسبق باقي تخرجه .
- (٢٣٥) سورة آل عمران : الآية ١٥ .
- (٢٣٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ١/٧ .
- (٢٣٧) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ... ، باب التسيب أول النهار وعند النوم ٤/٢٠٩٠ ، وابن حبان في صحيحه ٣/١١٣ ، وابن خزيمة في صحيحه ١/٣٧٠ ، وأحمد في المسند ٦/٣٢٤ ، ٤٢٩ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/٦١ ، والترمذي في الدعوات ، باب ١٠٤ وقال : ﴿حسن صحيح﴾ ٥/٥٥٥ ، وابن ماجه في كتاب الأدب ، باب فضل التسيب ٢/١٢٥١ ، وغيرهم .
- (٢٣٨) المنار المنيف لابن القيم ١/٣٦ .

(٢٣٩) سورة الملك : الآية ٢ .

(٢٤٠) سورة الكهف : من الآية ٧ .

(٢٤١) سورة هود : ٧ .

(٢٤٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب في الخض على التوبة والفرح بها ، بألفاظ متعددة وطرق

متعددة ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٨٨/١٠ ، وابن حبان في صحيحه ٣٨٧/٢ ، وأحمد في عدة

مواضع من المسند منها ٣١٦/٢ .

(٢٤٣) سورة المؤمنون : من الآية ٥٣ ، وسورة الروم : من الآية ٣٢ .

(٢٤٤) الأربعون الصغرى ٣٠/٢ .

قلتُ : وقول البيهقي - رحمه الله - هذا ليس هو الصحيح في إثبات صفة الفرح لله - تعالى - وإن

كان يدل على معنى من معاني الرضا ، والصحيح أن صفة الفرح لله - تعالى - على ما يليق بجلاله

وعظمته ، كسائر صفاته ، وتأويلها بالرضا ليس صحيحاً ، وإنما هو مذهب أهل التأويل والتعطيل ،

وإلا فالصفة له على ما يليق به ، معناها معلوم في اللغة العربية ، وكيفها مجهول ، والإيمان بها واجب ،

كما ثبتت في النصوص ، ومنها هذا الحديث .

(٢٤٥) سورة مريم : الآية ٩٦ .

(٢٤٦) أخرجه الطبراني في الأوسط ٥٧/٢ - ٥٨ ، وقال : ﴿ لا يروى هذا الحديث عن ثوبان إلا بهذا

الإسناد تفرد به ميمون ﴾ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٢/١٠ ثم قال : ﴿ رواه الطبراني في

الأوسط ، ورجاله ثقات ﴾ .

(٢٤٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وفي مواضع أخرى ، وأخرجه مسلم في

كتاب البر والصلة ، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده ٢٠٣٠/٤ .

(٢٤٨) هو : عمرو بن مالك بن قيس بن مجيد الرواسي كوفي وقد على النبي ﷺ أبيه فأسلما ، وقال قوم :

إن الصحبة لأبيه . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٦٧٥/٤ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١٢٠٠/٨ ،

والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠٠/١ .

(٢٤٩) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٢٣٦/١٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٣١٢/٦ ، وابن حبان في

الثقات ٢٧٠/٣ .. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/١٠ : ﴿ رواه البزار من رواية طارق عن

عمرو بن مالك ، وطارق ذكره ابن أبي حاتم ولم يوثقه ، ولم يجرحه ببيعة رجاله ثقات ﴾ ١ هـ .

(٢٥٠) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَيَحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ، ومسلم في

كتاب الذكر والدعاء ... باب الحث على ذكر الله ٢٠٦١/٤ ، وباب فضل الذكر والدعاء والتقرب

إلى الله تعالى ٢٠٦٧/٤ .

- (٢٥١) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق ، باب التواضع ، وابن حبان في صحيحه ٥٨/٢ ، وأحمد في المسند ٢٥٦/٦ ، وغيرهم .
- (٢٥٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٥/٤ ، وابن حبان في صحيحه ٩٥/٣ ، والطبراني في الدعاء ص ٥٢٩ ، وأبو يعلى في مسنده ٣٨١/١٣ ، وأحمد في المسند ٩٢/٤ ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ماجاء في القوم يجلسون فيذكرون الله ... ٤٥٩/٥ ، وغيرهم .
- (٢٥٣) سورة الأنعام : الآية ١٥٤ .
- (٢٥٤) سورة الرحمن : الآية ٦٠ .
- (٢٥٥) تفسير ابن كثير ١٩٢/٢ .
- (٢٥٦) سورة يونس : من الآية ٢٦ .
- (٢٥٧) انظر : تفسير ابن كثير ٤٨٥/٢ .
- (٢٥٨) المنار المنيف لابن القيم ص ٣٢ .
- (٢٥٩) انظر : المنار المنيف ص ٣٣ .
- (٢٦٠) انظر : عدة الصابرين لابن القيم ٢٣٨/١ .
- (٢٦١) سبق تخريجه في ص ٩ . وانظر : أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ص ٤٤ .
- (٢٦٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/١ .
- (٢٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٢٣/١ .
- (٢٦٤) أخرجه بنحوه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب في صفات الجنة وأهلها ... ٢١٨١/٤ ، وابن حبان في صحيحه ٤٦٢/١٦ ، والدارمي في كتاب الرقاق ، باب في أهل الجنة ونعيمها .
- (٢٦٥) سورة الزمر : من الآية ٧ .
- (٢٦٦) انظر : رسالة في الصفات الاختيارية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢٦/٦ .
- (٢٦٧) روضة المحيين لابن القيم ص ٤٣٧ .
- (٢٦٨) سورة طه : الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .
- (٢٦٩) روضة المحيين : ص ٤٣٧ .
- (٢٧٠) سورة الفتح : الآيتان ١٨ ، ١٩ .
- (٢٧١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ١٩٤٢/٤ ، وأحمد في المسند ٦٩٥/٥ ، وقال : ﴿ حسن صحيح ﴾ ، وغيرهم .

- (٢٧٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب الجاسوس ، وقول الله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ... ﴾ ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، وأحمد في المسند في مواضع منها ٣٣٠/١ ، وأبو يعلى في مسنده ٣١٦/١ .
- (٢٧٣) انظر : عون المعبود ٢٦٤/١٢ .
- (٢٧٤) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .
- (٢٧٥) الرسالة الأكملية لابن تيمية ضمن الفتاوى ٩٤/٦ .
- (٢٧٦) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأحاديث المختارة : أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما ، ضياء الدين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ، ط الأولى ١٤١٢ هـ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، دراسة وتحقيق : د . عبد الملك بن دهيش .
- ٣ - الأربعون الصغرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأنري ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٤ - الاستقامة : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، مطبعة نهضة مصر .
- ٦ - أصول الإيمان : للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : د . باسم الجوابرة .
- ٧ - الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ، ط الأولى ١٣٢٨ هـ ، نشر : دار العلوم الحديثة .
- ٨ - الاعتقاد : لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، ط الأولى ١٤٠١ هـ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- ٩ - البداية والنهاية : لأبي الفداء الخافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، ومكتبة المعارف ببيروت .
- ١٠ - البرهان في عقائد أهل الأديان : للسكسكي ، دار التراث العربي ١٤٠٠ هـ .
- ١١ - بيان تلبيس الجهمية : لابن تيمية ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن القاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ١٣٩٢ هـ .
- ١٢ - تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ١٣ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ١٤ - التدمرية : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد السعوي ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ .
- ١٥ - الزغيب والزهب : لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط الأولى ١٤١٧ هـ ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .

- ١٦ - التصديق بالنظر : محمد بن حسين الآجري ، تحقيق : سمير الزهيري ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت .
- ١٧ - التعريفات : لعلي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر دار الكتاب العربي بيروت .
- ١٨ - التوقيف على مهمات التعاريف : محمد بن عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ط الأولى ١٤١٠ هـ ، نشر : دار الفكر بيروت ودمشق .
- ١٩ - تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ هـ .
- ٢٠ - الثقات : لابن حبان اليسي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط الأولى ١٣٩٥ هـ ، نشر : دار الفكر .
- ٢١ - الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب ، نشر : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧ هـ .
- ٢٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط الثالثة ، البابي الحلبي بمصر ، ١٣٨٨ هـ .
- ٢٣ - الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى البغا ١٤٠٧ هـ ، دار ابن كثير واليمامة .
- ٢٤ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، نشر المكتبة الإسلامية .
- ٢٥ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٢٦ - حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٥ هـ .
- ٢٧ - خلق أفعال العباد : محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د عبدالرحمن عميرة ١٣٩٨ هـ ، نشر دار المعارف بالرياض .
- ٢٨ - درء تعارض العقل والنقل : لابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٩ هـ .
- ٢٩ - الدر المنثور في التفسير بالمتأثور : لجلال الدين السيوطي ، نشر دار الفكر بيروت ، سنة ١٤١٤ هـ .
- ٣٠ - الدعاء : لسليمان أبي القاسم الطبراني ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، ط الأولى ١٤١٣ هـ ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .

- ٣١ - الدياج على صحيح مسلم : لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : أبي إسحاق الأثري ، نشر دار ابن عفان بالخبر ١٤١٦ هـ .
- ٣٢ - ذم التأويل : لموفق الدين ابن قدامة المقدسي ، الدار السلفية ، الكويت .
- ٣٣ - رؤية الله : لعلي بن عمر الدارقطني ، تحقيق : مبروك إسماعيل مبروك ، نشر مكتبة القرآن بالقاهرة .
- ٣٤ - الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة ، أو عقيدة السلف وأصحاب الحديث : لأبي إسماعيل الصابوني ، تحقيق : بدر البدر ، نشر الدار السلفية بالكويت .
- ٣٥ - رفع الأستار : محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، تحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر المكتب الإسلامي بيروت .
- ٣٦ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٢ هـ .
- ٣٧ - الزهد : لعبد الله ابن المبارك المروزي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٣٨ - الزهد وصفة الزاهدين : لأحمد بن محمد ابن الأعرابي ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر دار الصحابة بطنطا ، مصر .
- ٣٩ - سنن أبي داود : للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : عزت الدعاس ، دار الحديث بحمص سوريا .
- ٤٠ - سنن أبي داود : للحافظ سليمان بن الأشعث ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر بيروت .
- ٤١ - سنن الدارمي : لأبي محمد الدارمي ، دار الكتب العلمية بيروت ، نشر دار إحياء السنة النبوية .
- ٤٢ - سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد بن ماجه ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٤٣ - السنن الكبرى : لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د . عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي ، ط الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٤٤ - السنن الكبرى : للبيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة ١٤١٤ هـ .
- ٤٥ - منير أعلام النبلاء : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة .
- ٤٦ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديد بيروت .

- ٤٧ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : هبة الله بن الحسن اللالكائي ، تحقيق : د . أحمد سعد حمدان ١٤٠٢ هـ ، دار طيبة بالرياض .
- ٤٨ - شرح الحافظ السيوطي لسنن النسائي : للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ط الثانية ١٤٠٦ هـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية بـلـجـب .
- ٤٩ - شرح حديث جبريل عليه السلام : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤١٥ هـ .
- ٥٠ - شرح العقيدة الأصفهانية : لابن تيمية ، تحقيق : إبراهيم سعيدي ، ط الأولى ١٤١٥ هـ ، مكتبة الرسالة بالرياض .
- ٥١ - شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : د . عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة .
- ٥٢ - شرح قصيدة ابن القيم : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط الثالثة ١٤٠٦ هـ ، نشر المكتب الإسلامي بيروت .
- ٥٣ - شعب الإيمان : لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد زغللول ، ط الأولى ١٤١٠ هـ ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٥٤ - الشكر : لابن أبي الدنيا ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .
- ٥٥ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لمحمد بن حبان البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط الثانية ١٤١٤ هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٥٦ - صحيح الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ٥٧ - صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام النووي ، دار الفكر بيروت .
- ٥٨ - طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .
- ٥٩ - الطبقات الكبرى : لابن سعد ، دار صادر بيروت .
- ٦٠ - طريق المهجرتين وباب السعادتين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، ط الثالثة ١٤١٤ هـ ، نشر دار ابن القيم بالدمام .
- ٦١ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : زكريا علي يوسف ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٦٢ - العقل وفضله : لابن أبي الدنيا ، تحقيق : لطفي محمد الصغير ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ ، نشر دار الـرأية بالرياض .

- ٦٣ - العقيدة : للإمام أحمد بن حنبل برواية الحلال ، تحقيق : عبدالعزيز السيروان ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ . نشر دار قتيبة بدمشق .
- ٦٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ، المكتبة السلفية .
- ٦٥ - الفرق بين الفرق : لعبدالقاهر البغدادي ، دار المعرفة بيروت .
- ٦٦ - القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، عالم الكتب .
- ٦٧ - كشف الأستار عن زوائد البزار : لنور الدين الهيثمي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٦٨ - لسان العرب : لأبي الفضل بن منظور ، دار صادر بيروت .
- ٦٩ - مجمع الزوائد ومنيع الفوائد : لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مؤسسة المعارف بيروت .
- ٧٠ - مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبدالرحمن القاسم ، ط رئاسة الحرمين .
- ٧١ - مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي ، دار الفكر بيروت .
- ٧٢ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط الثانية ، ١٣٩٣ هـ ، نشر دار الفكر العربي بيروت .
- ٧٣ - المستدرک علی الصحیحین : للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للإمام الذهبي ، توزيع مكتبة المعارف بالرياض .
- ٧٤ - مسند أبي يعلى : لأحمد بن علي الموصلي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ . نشر دار المأمون للتراث بدمشق .
- ٧٥ - المسند : للإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي للطباعة ، نشر دار الفكر بيروت .
- ٧٦ - مسند البزار : لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن وزين الله ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ ، مؤسسة علوم القرآن بيروت ، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة .
- ٧٧ - مسند الحارثي ﴿ بغية الباحث عن زوائد الحارث ﴾ : للحارث بن أبي أسامة والحافظ الهيثمي ، تحقيق : د. حسين الباكري ، ط الأولى ١٤١٣ هـ ، نشر مركز خدمة السنة بالمدينة .
- ٧٨ - مسند الشهاب : لمحمد بن سلامة القضاعي ، تحقيق : حمدي السلفي ، ط الثانية ١٤٠٧ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٧٩ - مسند الطيالسي : لسليمان بن داود الطيالسي ، دار المعرفة بيروت .
- ٨٠ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد المقرزي الفيومي ، توزيع دار الباز بمكة .
- ٨١ - المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبدالمحسن الحسني ، ١٤١٥ هـ ، نشر دار الحرمين بالقاهرة .

- ٨٢ - المعجم الصغير : لابن القاسم الطبراني ، تحقيق : محمد شكور ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر المكتب الإسلامي ، دار عمار بيروت وعمّان .
- ٨٣ - المعجم الكبير : لأبي القاسم الطبراني ، تحقيق : هادي السلفي ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ ، مكتبة دار الحكم بالموصل .
- ٨٤ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : هلموت ريتو ، ط الثالثة نشر دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٨٥ - الملل والنحل : لأبي الفتح الشهرستاني ، دار المعرفة بيروت .
- ٨٦ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، ط الثانية ١٤٠٣ هـ ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .
- ٨٧ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب : لجند الدين أبي السعادات ابن الأثير ، تحقيق : د . محمود الطناحي ، طباعة ونشر جامعة أم القرى .
- ٨٨ - منهاج السنة النبوية : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ .
- ٨٩ - الموسوعة الحديشية ﴿مسند الإمام أحمد﴾ : تحقيق : د . عبد الله التركي ، وشعيب الأرنؤوط ومن معهم ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٩٠ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر : دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٩١ - ميزان الاعتدال : للإمام محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة بيروت .
- ٩٢ - النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة : لابن تغري بردي .
- ٩٣ - النبوات : لابن تيمية ، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٨٦ هـ .
- ٩٤ - النهاية في غريب الأثر : لأبي السعادات ابن الأثير الجزري ، تحقيق : طاهر الزاوي ، ومحمود الطباخي ، ١٣٩٩ هـ ، نشر دار الفكر بيروت .
- ٩٥ - الوابل الصيب من الكلم الطيب : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر الكتاب العربي بيروت .
- ٩٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس ابن خلكان ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار صادر بيروت .